ملف الشعر العراقي (3)

أرض السواد..

– نصوص

* أجود مجبل
* أحمد الشيخ علي
* تركي الحميري
* خضيّر الزيدي
* سعد الصالحي
* سلام دوّاي
* سليم السامرائي
* طالب السوداني
* عبد الخالق كيطان
* علي البزاز
* علي حبش
* كزار حنتوش
* كمال العبدلي
* محمد السيد محسن
* ماجد عدّام
* نجاة عبد الله
* وليد الصرّاف

– دراسة

* ماجد السامرائي

البحث عن جلال الحياة الخالدة

– شهادات عن الحصار

* شاكر نوري
* ضياء سالم
* لطفية الدليمي

– وثيقة

«جنــين» قصيدة لضابط عراقي

– شارك في إعداد الملف

* محمود أبو الهيجاء
* محمد ضمرة
* شاكر نوري
* زاهر الجوهر

أرض السواد..

أن تدعي أية فصلية ثقافية قدرتها على تقديم المشهد الشعري العراقي، فتلك محاولة لا تتخطى دائرة الإدعاء الجميل... لوحة فسيفسائية بالغة التنوّع هو العراق بمساحته التاريخية، وكذلك هو نضحه الإبداعي والشعري في حيّز خاص. وعندما تقدّم «بيت الشعر»، في فلسطين، بمبادرته الإبداعية إزاء تواؤم الألق والقلق لشعراءً العراق، كانت النوايا الأكثر من تضامنية تحثّ خطى القدرات والمدُركات بشكل تطابقي.
ومثل متأمل يفكّكُ دلالات الجدارية ويستكشف فضاءاتها أرادت «الشعراء» أن تكون جدارية الشعر العراقي متجًسمة على صفحاتها صروحاً إبداعية أمام المتلقي في فلسطين والعالم... لهذا أطلقت «الشعراء» كل حمامها الزاجل والراجل وأبقت خطوط فضاءاتها مفتوحة اتجاه مرسلات تأتي من بين النهرين وانهمكن «البنات» يصارعن حروف «الكمبيوتر» ويفكّك المهندس معضلات «الانترنيت»، علّه يخترق الحصار «الانترنيتي» طالما الشعر محاصراً في مهد الشعر والشعراء ..
ولأنّ بيت الشعر الفلسطيني تشكل دعاماته هامات وقامات شعرية عامودية وأفقية وغنائية ونثرية وما بعد حداثوية بروح إبداعية متدفقة ومتجددة ... كان للحرص الإبداعي ألوان متعددة ومتنوعة في الجدارية الكبرى للسرٍّ ًالأسمى للشعر..
المشهد المعاصر والحديث للشعر العراقي اقترحنا تقديمه بدءاً بستينيات القرن العشرين بكلاسيكيته، والمقفى منه والمنسرح والحرّ والتفعيلة والنثر انتهاءً بآخر أغصان غابة الشعر في العراق.
وإن إرضاء الناس غاية لا تدرك كما يقول «علي بن أبي طالب» فكيف بإرضاء الشعر والشعراء؟
لكنّ «الشعراء» تشعر بنشوة إبداعية خاصة.. عندما لم تخضع «الملف» في دائرة «الأمزجة والأهواء»

ولا فيما اختلف أو اتفق عليه الأصدقاء أو الأصدقاء، فكان للنصوص حريّتها المطلقة في تقديم مكنوناتها وقوتها الإبداعية في تقديم نفسها.

وبكل تجليات الإبداع تمتلك «الشعراء» الجرأة في القول أنها تركت «سدرتها» تحت أنامل شعراء العراق الذين يشتاقون «لطحين صفر» أو أولئك الذين ذهبوا ليبشرّوا بالشعر كحواريين قُدُّوا من أمل وشفافية ليبقى العراق سرّاً أسمى للشعر حيث انسابت الحروف الأولى بين أنامل الإنسان الأول وهُو يهدهد للطين ويقول للكلام «كن فكان» ويبقى جلجامش يتناسخ شعراً وشعراء في العراق وفضاءاته .

و«الشعراء» تشرع صفحاتها للشعر وللشعراء وتجلياتهم اللامتناهية ... وللمنجز الإبداعي العراقي احتفاء خاص.. هكذا قدمت «الشعراء» ثلاثة ملفات تضمنت اثنين وستين شاعراً من يوسف الصايغ إلى فريد دوهان، عدا عن الدراسات والشهادات والحوارات .. وفي دائرة المطبوعات والنشر في «بيت الشعر» هناك المجموعات الشعرية لعدد من الأصوات في الطريق إلى القارئ، مبادرة أولى ولن تكون الأخيرة تجاه «أرض السواد».

أحمد يعقوب

وأنا أفتتح سهواً عادلاً

أجود مجبل*

إلى هواءات حاذقة مضى
مُقتبساً رأسَهُ من أُرُومة الغُبار
وملتقطاً أقاصيَهُ من فُقدان ضَروس
هو الذي لا يملكُ غيرَ هجاءٍ مُطَهَّمٍ
وسرير راودته المزادات
سيقولُ لكم الآن ما هو جديرٌ بإيهامكم
سيقولُ لكم :
إن خريفاً يتدحرج إلى الحديقة
ليس ثاقباً بما يكفي ليُقنع الشجرة بالنقائص
وأنّ البحرَ لا تقضِمُهُ القُروش
سيقولُ لكم :
إنّ نباتات الظلِّ التي اقتاتتْ على ظلامه
صارتْ تبَحثُ لها عن شمسٍ طائلةٍ
شمسٍ لا تخذلها الصكوك

*　　*　　*

كلُّ الأفعال مُتعدّية هذا المساء
واللّمعانُ ضَامرٌ وكسول
فلماذا تفرّينَ من حيازة السقطات أيتُها الأهاجي
أشيرُ إليكَ بسُحنة انقراَضي على ممرٍّ مُنحدر
وتُشيرين لَي
بخفوتاتٍ لا تفْقَهُ بُزوغَ المعصية

فماذا بقيَ لرسوخٍ جليل
والطُّهاةُ منسدلونَ على وخامة الحواسّ
ومنخرطون في نسيان يُفسِّرُ أرَملةً
كتَمتْ جسدَها عن اليَأسِ في نهارٍ عُضال

ماذا بقيَ للمياه
بعد أن تَصالحَ النّهرُ مع سُدوده
بينما اكتفت الطحالبُ بإرثها اللدود؟

ماذا بقيَ للفريسة
خلفَ جدار يُشهرُ أناقَتُهُ في فُتورها
ليظلَّ لائقاً بعُلُوٍّ رائج وصريح؟
ماذا بقيَ من حكمة الرِّيش
حين يعتذرُ من هواءَ شديد التناصّ
ويذرفُ صعُوده تحتَ ظلاماتٍ مُتآزرة؟

ماذا بقيَ لنا
نحن المندلعين في النّضوب
والمُنكتبينَ على بياضِ التنحّي

غيرُ مراث وشيكة الفرار
وسماءٍ تَتَضَورُ بينَ الوَديان؟

ماذا بقي لي
لأُخمّنَ مُدْيةً تتعرّفُ على غبطتي
في مَساءٍ مُصفَّحٍ بالجوائز واَلعَتلات؟

* * *

إذن كُنتُ جديراً بالقُفول
وأنا ألوِّحُ بالكفاف العَميم
لأُفُقٍ ضالعٍ في اختِصاراته
وفلاةٍ يَحرُسُها القُضاةُ البائدون
أُلوِّحُ لأمطار أمينة تُهَرولُ إلى الهاوية
ولا تذكرُ منً سجاًيا الغَيومِ سوى هبائها

* * *

ذات يومٍ فائضٍ عن الأعتدة
قُلتُ للخفير :
/ وأنا أفتتحُ سهواً عادلاً في مَلكوتِ الصُّراخِ/
أيُّها الصديق
دُلّني على خُلاصةٍ مَيّتة
أتدفّأ بها من هذه اللكَنات
بعيداً عن النار التي أسْهَبت في الحديث
بعيداً عن غيومٍ لا تُصحّحُ العَراء
بعيداً عن نكهةٍ السيور وبُهتانها
بعيداً عنّي إذ تطيشُ بيَ الجُمَلُ الضارية
ويلهجُ بضآلتي المحاسبون

ها أنذا

وبكثير من الرفعة

أنحدرُ إلى محوٍ يتماثلُ للعَماء

ها أنذا

أُلَفِّقُ وجهي على هامشٍ محكوكٍ بالتواطُآت

وأصيحُ بالحَجَرِ المتقدِّمِ . .

نَحوَ جَسَدِ الكتابةِ . . قِفْ!

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد .

ربّما تصير الأغنية بيتاً

أحمد الشيخ علي*

شرفة القطط

النساءُ الصغيراتُ في الشرفةِ..

يفتّتْن زهوَ الشمسِ،

ويرقصنَ مع الظلالِ الرشيقةِ

لا مباليات بقطط عيوني اللامعةِ في أعلى البناية.

كم من الوقتٍ يلزمني لأصلَ بجسدي الحرّ بلاط الرصيف؟

هكذا..

سأجعل حفلة الرقص الخيالية تنتهي.

هكذا..

ستنظر واحدةٌ في الأقل

ليدي

وهي تومئ من الأعلى..

وهي تومئُ عن كثبٍ وبسرعة..

وهي تومئُ

/أخيراً/

من أصل..

ماذا لو انطفأت الشمس؟

ماذا سيجدن–

فتياتُ الشرفةِ..

إذا اختفت الظلال؟

وماذا سيحصل..

لو لامس جسدي الحرّ بلاطَ الرصيف؟

هل سأجدُ يدي

التي أومئُ بها منذ الصباح؟

القطط التي تقفز من عيوني إلى شرفة الفتيات

القطط اللامعة..

رهيفات بإزاء الموسيقى،

لذلك..

ما إن تصل الشرفة،

حتى تتحول إلى بالونات..

وترتفع صوب الشمس!

ساعة تركت جسدي يمرّ بالموسيقى،

ويقترب بسرعة من الرصيف..

تذكرته.

كنت أبحث عن مكان مناسب

أعلّق عليه كفّي التي تومئُ..

ولكنني وجدته يمرّ بي..

لقد فكّر

/أخيراً/

أن يصير غيمةً..
هكذا كانت تقول الأغنية
في شرفة النساء الصغيرات

في سرير المملكة..
تلك شرفةٌ..
وذلك نهارٌ..
تلك ملكةٌ تتريثُ، وسريرها محلول..
وتلك ريح.. غاديةٌ رائحة
من الشرفة إلى السرير..
تلك شعلة تفيض..
ونجمة تتسول
وحمامة تعشو
وتسبح في دمها رعدة
فترتفع وتهبط
ترتفع وتهبط
دائماً..
تلك حكاية قديمة
وأخرى جديدة،
تصعد السلالم..
تهبط..
تصعد..
.. ..
الشرفة تقصّ السبل والسابلة،
تقصّ السماء..

والنهار..

والليل..

تقص الريح،

والسرير الذي بنته لها الريح..

تلك / تتريّث / الملكة..

وأخيراً..

ذلك أنا،

أقص الشرفةَ في سرير الملكة!

غناء أخضر..

أيتها الأمّ..

يا أمي الأخيرة

في الطابور السماويّ،

ماذا رأيت في الغيمِ الكذوب؟

أبناؤك اليتامى أبناؤهم

مبذورون في ترابٍ أخرس..

ظلالُهم المضيئة هذه

في الليالي التي جف فيها القمر

تطلق أشباح الرصاص

على أسرّتهم

وتنسلُّ بهدوء..

إلى حيث

تنفرشُ لهم الريح

أيّتها الأم..

أيتها السماء المخلوقة من الدمع،

ذات يوم..

سنرى أبناءك الذهبيين

عندما تقعد الحرب القرفصاء

بعيداً في الظل..

وعلى عيونها الممحوّةِ

.. تنهدمُ خصلةٌ من عمر الأرض..

ذاتَ يوم..

سنرى أجنحتهم الذهبيّة

تسبحُ في غناءٍ أخضر..!

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

عشب الماء

تركي الحميري*

يعشوشب الماء في غمرات الضياء
وتطفو المدائن في سدم الموج
والشجن المرّ
كاد أن يدلق البوح
شرائط سيل من الأرجوان الممشط
فوق فناءات هذي الدنا
ورحيل المسافات
يحتضن الزمن الواعد، المتبصر
في وطن الحب والشوق والأمنيات
هنا تستقر الحضارة
تبتني عشها من نسيج المعاناة
مجد المهارات
وأوراق أغصان سدرة الأبد

المتشابكة الوعد فوق الذرى
هسيس التواريخ في شفتي الزمان
يتغلغل بين ضلوع الغد المتربع
فوق عرش الولوع
وغابات أنوار همس
الصباحات في وطني
تشعشع في خضرة الفجر
والسهل والسفح والماء
تصحو، وتصدح بالطير والشجر

ومذ أمّ طير السفوح، السهول.. المياه
وألقى على شفة الدهر
أغنية البدء
وكانت فضاءات شعر
وأنغام سحر
وهدأة إغفاءة في ضمير العصور
تستقر على أُطر العدل
مولعة باجتراح المصير

وفي البدء كان..
وكان لـ«أُوروك» مجد الخلود
وأسوارها الذهبية،
تجهش بالنور
في تلة وسط كل براري المياه،
وما تبصر العين..
مد على شرفات مئات القرون

رب الخليقة مدّ جدائلها العسجدية
فوق ربى وطن الماء والخبز والمستحيل
وأهدى الفراتين عافية.. والنخيل

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

أواخر العزلة

خضير الزيدي*

حلمت بنقوش تتوقف على خزائن اللذة
وتخيلت أن الشتاء الساقط
على أقفاصك
يطفئ الصالات
لهذا رفعت الغيوم إلى مهب البياض
ومن ريشة على الضريح سمعت نداءك
حلمت بنقوش تغمض فجرها
الأكثر غياباً من عيدان الأسطورة
وتستأسد، غبار أدغلها اليابسة
في منعطف..
(أمام فندق سومر)
حلمت يا ذات العلامة بك
وتنبهت أن الأبدية عجوز
تتريث أمام عزلتها

فمن يضمن لك أن أفراحنا القديمة غيوم تشطفنا
يا ذات المساء المتأخر
لَمْ أحلم بشيء
بقربي سكاكين/ وفريسة

* * *

المساءات بدت عارية كالأباريق
فلا فصول
ولا سجائر
ولا مرايا.. ضيقة
كأنك نحاس مليء، بالنهايات
كأنك فاتحة الخروج
ولفترة ثانية
لا بد من شطر الأبدية
هكذا أحاول أن أدير تجاعيدك إلى جهة المطر
فالصحارى لا تليق بها العزلة
والبراري منذ أساطير ميتة
وأنت وردة عام من الحلم
وربما صفصافة شتاء
أنت ظهيرة الغيم/ فوق أهداب الملجأ
رفرفي أكثر
المساءات بدت عارية

* * *

بمقدور اللغة أن تحمل المسافات

لتحفر في الكلمة فرصة متهورة
حسناً.. سأنحدر حيثما نشيدك يتقيأ
حجر الطبيعة
وأجدك.. على عشبة.. اللذة
فقناعك القاع
وملوحتك القبلة
ومجدك طقس بارد مأزره الصبوات
فلا تتسع يداك إلى رماد من اليقظة
لا زلت أحملك خارج الكلمات

* * *

هل الأبدية غيمة بعيدة
الجهات..
تؤكد فعلها بالسقوط!!
تعالي آخذك إلى غيوم واطئة
تصل نداءك بأدغال البرية
ما تبقى من اللذة تدشّنه ورقة توت
ساقطة هذا المساء
أنا عشبة صفراء على السطوح
وأنت مناخي
فلا أريد أن أنطفئ إلا أمام عيدانك
أيتها المليئة منذ مهدك بالأسطورة
ما من أحد يتكفل مسارات الظل
لا أحد يتجذر على سواحلك القديمة
سوى (أنايَ)

فلا أريد أن أصف الفريسة
والبروج واضحة
لا أريد مساء يتكرر، أن أحاصر الوردة
أيتها المؤجلة من قفص الأبدية
من يتكفل هذه الخيانات الصلدة..؟

* * *

كيف يحدث هذا..؟
أصابع الغيم تتناسل
نباتات هادئة يسوقها مناخ السكاكين إلى رئتي
وأنا أحفر الورق على جمجمة الشتاء
كيف يحدث هذا؟

* * *

هل كنا فريسة الحلم وعلى جروحنا طقس النهار
واقف أمام كل البروج..؟
ويدي فارغة إلا من تراب الطيور؟
اعرف..!
الحضارة.. لغة فاسدة
التاريخ.. كلب فاسد
الأبدية.. غيمة فاسدة
أرتق جروح الحروب
بأصابع المطر
وأحياناً بأصابع المنفى.

مساء الشظية الأخيرة

سعد الصالحي*

بما أوشك تحت أقدام الرعاة
على ما تبقّى من مدينة وانحسر
والناس على أشكالها تطير

في الساعة قرب آخر الأسماء
ومن آخر الجسد
ساعة من كل براعات الذئاب
تعلمت أن أعوي فقط
حدث أن ابتلع حوتي القمرَ

وحيداً بلا قمر
أيها القمر رتبني كما شئتَ
فأنا أعشق آخر أجزائي
وقد تركتها في الأرض الحرام

تطير.. تطير
نصير.. ندور
أدور.. تدور

الكرة في ملعبي
والملعب في أرضٍ أخرى
والأرض الأخرى على كوكب بعيد
والكوكب البعيد في مجرة من هلام

ومجرة الهلام في سماء ما
والسماء في أحلامي
وأحلامي في كرة
والكرة في ملعبي

تدور بين البراري الخضر والجبال الجرد
وأشجار الزيتون
وأشباح الرجال والخنادق المهجورة!

لا أتحدث عن عصر ما
بل أقر بلعبة إوزٍ وديكةٍ برية

أرى قلعة تحتضر بعصف الحرائق تحت أطرافها
وحدوداً تمد أعناقها
لمن يلوِّحون لها بالصفير

أرى بعد غياب الصحب أبواباً
تركت عليّاتها لاستراحة الغرباء

ربما استعنت بالأسماء ونصوص الشعراء
وربما أعلنت ما أخفاه المهرجون
بيد أن شباكي ما زالت تزاحم ناياً ورباباً
وعواء ذئب جريح
يصيح بحنجرة الشظية
لأنك عبرتَ إليّ
سعيتَ بقدميك العاريتين

واندفعتَ كالسيل
فاستقبلتُ صدرك
لا تسمني قبرك

ألأني أصبتُ حجراً
ابْتَهجْتَ لفاصلة بيننا

(قد أراد خيراً فأخطأ
وهو أفضل ممن أراد شراً
فأصاب)

فلتكن هكذا دواليك
يوماً ما سألتقيك

قلت لا..
ربما تشظيتُ بقبلة
واشتقتُ من شدة القصف لذاكرتي
عبأتُ قيثارتي بمخلفات الأسلحة المستطرقة

وأشرتُ للكائنات التي نطقتُ باسمها
الشهداء لي.. ومهنة من أحصي عدد أشباحهم في حافظات الصور

أحدهم يشبهني كغيمة
وآخر كالكواكب وما تبقّى خارج المجرات

بقلبي حجر
ومسلة وجهي برد وقشعريرة
فأمسكْ بيدك سكيناً
وانتظِ بالشفة الأخرى خنجراً
ولوحَ بهما معاً
كأنك لم تكن وكأني أخطأت أكثر
فمن كل براعات الذئاب
تعلمت أن أعوي
الشهداء هم أطرافي
تأملْ..
يوماً ما سأصبح مشلولاً
وسيحول الدم بيني وبين الكلام
عندها أدرك أن المساء هو عصارة الزمن
دماثة الزمن
وأن الشظية الأخيرة هي كل الشظايا
كل الشظايا
كلها فقط..

(1999)

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

مختبئ خلف سبابته

سلام دوّاي*

هواء

قبل أن تتسلقي كلبلاب طائش
كنت تمرين كغيمة
فأشتعل كبرق
كنت السخونة
وأنا على جسدك أتفصد
وفوق قميصك أجف
نافذة كنت كأمل
ونافذ أنا كهواء
وأنا.. الهواء

كنت أحبك كفكرة
وكنت تهربين كدخان
أنا العاطل كضفدع
الغريب ككركدن

المرتبك كزقاق قديم
الحزين كقطار الجنوب
الواهن كوعاء السفر

من أين لي أن أمنع الذهب
من الذهاب بك إلى القمة
حيث الثلج يحتشد
والهاوية تتسع
والأمل يضيق
ونسرك العجوز يرتجف
ويرمقني يا – حبيبتي – بحسد
ويتمنى أن يكون في مكاني
حيث الثقوب على قميصي تنمو
والألم ينمو
وقلبي يضيء

الشاعر

مختبئ خلف سبابته
يقول لسجيته انطلقي
ها: خطأ.. خطآن.. ثلاثة.. ألف.
كان قبل هذا بكثير
يدفع بالثدي بعيداً
ليلهو بسبابته
بعد هذا بقليل

صار يشير بها ويتأتئ

فيصيح المعلم: خطأ.. خطأ

في الحرب كان يضغط بها على الزناد

فيطيش رصاص كثيف.

وحين ضغط بها على القلم

كتبت أشياء ممنوعة

ولما تفتح قلبه

وسال حنين غزير

أشارت إلى المرأة الخطأ

*   *   *

هو الآن مضطرب

يرنو إلى سبابته التي لا تعدل بضع سنتمترات

ويفكر بممحاة بحجم الأفق

*   *   *

حين اكتشف أن لسبابته

شكل مسدس

تمترس خلفها

وراح ينتخب الأهداف

– القابلة غير المأذونة.. أم علوان

– مدرسة العاقولي الابتدائية

– حمام الفضل للنساء

– سوق السراي

– مقهى حسن عجمي

– كلية الآداب

- دائرة تجنيد الرصافة
- تمثال جلالة الملك

سوى هذا

ماذا تريدون من الشاعر أن يفعل

أيقطع سبابته

بماذا إذن

يحك ظهر الحمار؟!

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد .

قصبة الرعد

سليم السامرائي*

مأدبة القيامة

سكنت طوق البخور
ورضعت من ثدي الحمامة
هدأت ضفيرةُ الموج
وانجاب عن وجهها قوس
الأفول
وطوقني غشاءُ المطر

* * *

أُناديها تغلق الحروف مساماتها
ويرشح الضوء حدَّه
أسامر كوكباً
يخيط لي نهاراً موحشاً
ومكتهلاً

وينشر لي راية تسهر
في أرحام العيون

* * *

راحلاً في عروق الأنوثة
والتجاعيد
الزمان طحلبٌ
والرعد ذاكرة للشجر
والمسافة ترشح جدرانها
تستضيءُ بالأحداق والريح
تحاصر بالجهات الأربع

* * *

انكسرت قصبةُ الرعد
واطمأنّ إلى مداره الأفقُ
وهي كأسي الأخيرة
أتيبسُ فوق أعضائها
بخفقة الخمسين
الزمان عيون مثقلة
بالتشهي
الزمان امرأةٌ حبلى
تشتهي أن يرتديها
الليل
ضيفاً لمأدبة القيامة

سـريـر

أذوب في جدائل السرير
سريرها الجائع المهمل
سريرها النِّيء
كنائس مهجورة صافنة
تحجرت فيها بقايا الطير
واستباح بريقها الصمتُ
أودعته ميراثي الأبلق
فتأتأت بالمطر الغريب
سحائب الفصول
وحاور الأبناءُ آباءهم
وأدمت وجهها حجارة ضريرة

*   *   *

أذوب في مفاصل السرير
في الظل والإشارة
استبطن وجه طالعي الوحشي
يجيئني الخطافُ مثل قفازها
أبيض يهذي
يشربُ من كأسي الحريق
يقاسمني الظل والسرير

---

* شاعرفأرى قطرةً من بعلي.
هاربة.

تسريب العتمة

طالب السوداني*

ولادة

ذات يوم
اختلّ نظامُ الطبيعة
فقدت الأرضُ اتزانها
فولدتُ أنا..
ذات يوم
اختلّ نظام أبي
فقدت أمي اتزانها
فوُلدت الطبيعة

تسرب

انكسر الضوء فتسرّبت العتمة
إلى كلّ الدروب الطينية العتيقة
حينها صرخن..

انكسرت العتمة فتسرّب الموتُ
إلى كل الورود الضوئية
حينها صرختُ
سأكون أكثر حرصاً على حياتي
في المرة القادمة

مهنة

ابن الساعاتي.. ساعاتي
ابن البنّاء.. بنّاء
ابن الفنّان.. فنّان
ابن الحلاّق.. حلاّق
ابن الدكتور.. دكتور
ابن الجاسوس.. جاسوس
ابن الحيوان.. حيوان
ابن المهندس.. مهندس
ابن الخياط.. خياط
ابن القواد.. قوّاد
ابن الحمار.. حمار
ابن الرياضي.. رياضي
ابن التاجر.. تاجر
أمّا أنا:
فأبي جنديّ
لذا وُلدتُ قتيلاً

خلف المدى

دعني أرى لا زالت الغيومُ
تجري إلى مستقرّها المجهول
قد تتلاشى في اللازورديّ العتيق
قد تسعد الآخرين
لا أحدَ يعرف
غير أني أشكّ..
دعني أرى
لا تنسَ موعدك
مع منْ ؟
نسيت!!
دعني أرى
خلف المدى

حمامة بيضاء في فم مفتوح..
لا رائحة خلف المدى
لا ألوان
خنجرُ أطفال مشهور
وجيدٌ حقيقي
دعنا نحلم
رغيفُ خبر خرافي كبير
نتسابق في ميدانه أنا وكل المتسولين
صحن لبن مجنون
لا نكاد نسبحُ فيه حتى يبتلعنا متقصداً
دعنا نحلم

نتفُ ريش في كل مكان
ولا مكان محدد
كل الطيور ترقص عارية

في غابة أشجارها طيور
دعنا نحلم
أن نستيقظ يوماً في حلم أن نعبث بتأملاتنا
أن نزدري بؤسنا
وأن نحطمَ بؤسنا
بملكة الشعر

ألبوم صور
إلى ضرغام عبد الواحد
هذه ليست شجرة
هذا أنا أخضر
هذا ليس لقلقاً.. هذا أنا نحيف
هذا ليس ضفدعاً.. هذا أنا أنقنق
هذا ليس خرطوماً.. هذا أنفي
هذا ليس مدفعاً.. هذا أنا منفجر
هذا ليس بعيراً.. هذا أنا أحب
هذه ليست زرافة.. هذا أنا أفزع الطيور
هذا ليس ديناصوراً.. هذا أنا منقرض
هذا ليس نورساً.. هذا أنا أبكي
هذا ليس جنرالاً.. هذا أنا منكسر

هذا ليس عمود كهرباء.. هذا أنا ميت

هذه ليست طائرة.. هذا أنا بلا أجنحة
هذا ليس أنا..
هذا أنا الشجرة واللقلق والضفدع والخرطوم والمدفع
والبعير والزرافة والديناصور والنورس والجنرال وعمود
الكهرباء والطائرة..
هذا ليس أنا تماماً
هذا أنا تماماً..

حمار في باب المعظم
مسكين..
مخطط.. ..
الحمار الوحشي
الحمارُ وحشيّ
الكونُ مخطط.. الكون وحشيّ
الشوارعُ مخططة.. الشوارعُ وحشية
خط الاستواء.. وحشيّ
خط الهاتف.. وحشيّ
حبيبتي ترتدي فستاناً مخططاً..
حبيبتي وحشية
الجنود خطوط.. القصف وحشيّ
حسين الصعلوك يشتري كتبي بنقود مخططة
حسين الصعلوك وحشيّ
أنا خطّ على ظهر الحمار الوحشيّ..
في باب المعظم

لأنه يحلم بالسفر دائماً راح يشجّع نادي الجوية

يشتم الحروب بلا انقطاع ويكره حراس المرمى
يريد أن يملك «ريموت كونترول» ويطير
كما سبق للشاعر قتل أبيه
أطلب نفيه إلى أحد الكواكب
ودمتم.

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

أوشكُ أنْ أكونَ معي

عبد الخالق كيطان*

يقترب الصّباح..
عيني على المطارات، فاللاّجئون أكثر من أنْ يعدَّهم ليلٌ آفل.. وعلى الحدود، يفرُّ الأبناء مثل ماشية مهرَّبة. كان أبي، من أشدّ الكارهين للحقائب، وأضربُ مثلاً برحلاته الموسمية إلى كربلاء، زوّادته شربة ماء ورغيف يابس،.. كبرتُ، وكانت الحقيبة منزلي، يتفحّصني بعيون دامعة مدركاً أنني قد ضعتُ . ماذا لو كان ليل المطرودين بلا صباح، كيف، أو لمن –على وجه الدّقة– سيحكون أحلامهم إذن؟ في الطريق إليه، هكذا أعتقد، أكثر من محطّة تستحقّ القصّ، وذلك بالضبط ما يدفع إلى إيلائه مزيد اهتمامنا، فغداً، سوف ننام على أية حال، على أنّ القصص بحاجة إلى مستمع واحد. أعطني أذنيكَ، هذا كائن ليلي ينأى عنه شعاع الضوء، في الزنزانة أكثر مما ينبغي، يدير رأسه مثل قرد فلا يجدُ بُدّاً من اتّهام الجدار بالخيانة والمرآة بالتلصّص والكرسي بالتآمر والسرير بالوشاية.. فَزِعٌ، والساعة على يمينه تطلق صقّارات الوعد.. النائمون يصارعون ملائكتهم، فَزِعٌ أيضاً.. أمامه جيش من الصحو يرفع رايات مغمّسة بالدم.. أنت، لا أحدٌ غيرك يكرّر أخطاءه، تدّعي العفّة فيما يتهتّك باطنك.. أبداً، لستُ أنا مَنْ تعني، انْظُرْ جيداً، النحول على راحتي وقرب فمي كأس الخيّام فيما إلى جواري يرقد الصوفيّون والحوذيّون.. مستاءٌ من شخيرها –لا أكثر– ومع ذلك، أسْحَلْني إذا شئتُ وأرمي بي من النافذة.
يقترب وأرجوه بعكس ذلك..
ربّات النّهار لا يمسكهنَّ أمثالي إلاّ في مثل هذا الوقت، يكشفْنَ الآن عن سيقان صلبة وزنود بضّة، هنالك أيضاً طعم السجائر إذ نتّفق على اختلافه في الليل، ولعلّ فكرة جديرة بالتأمل مثل فكرة

الانتحار لا تواتي أحدنا وهو يستقلّ الباص بعد عناء ملحوظ.. ماذا أسطّر؟ ألا أبدو بحاجة إلى الاتّزان قليلاً؟ لنتصارح: إنّ ذلك لا يمنحني حصانة، إذ ما أحتاجه حقّاً مجرّد إشارة من أمّي.. بكاءٌ غير مسبوق لا أريده أَنْ يجرّني إلى ندم، أعرف أنني أقف على حافّة الزمان، أيُّ سهو، يحوّلني إلى ذكرى عتيقة.. يا سيّدي، إنْ كنتَ تراني فالصمتُ ينفقُ حاجتي، وإنْ تشح بوجهك عنّي اضطرّ إلى اللغو، كنّا تعاهدنا.. أَلَسْتَ الرائي قَبْلاً ثمّ من بعدي؟! ألا تعرف وجهتي التي تغرق الليلة في حندس؟!، تلفّتُّ: كان الأصدقاء يتقافزون من الأذى، والأهل يشكونني إليك.. أصيحُ بالغرباء.. ظهريَ يتقوّس بانفعال، هل أنتُم معي في الرّهان؟ ولكن، على ماذا نراهن والبلادُ توزّعت البلاد؟ يقترب وأقصدُ أنه ينأى..

تعالي إلى شفتي.. سأرجمك بالقبل وأقرصُ خدَّيك.. هل تذكرين شجارات الليل؟ عندما أقرأُ عليك فاتحتي وتبادرينني بالعويلَ الثرّ، يدهمني النعاسَ على غفلة وتوجّهين إليَّ لوائح التّهم.. أؤجل رجاحتي كي ألامس نهار بغداد وأخشى أَنْ تطيري من رأسي لأني أُدرك أنّك لن تتكرّري – دعيني أشرح لك الأمر: لستُ بطيئاً كما تعرفين، ولكننا نحاصر أفراحنا خوفاً من اللصوص. جاءني وحيُك بعَد انقطاع طويل، قبضتُ عليه وأدركني الصّباح! ماذا أفعل مع هذا العطش كلّه؟ ماذا أفعلُ إَنْ كنتُ أشتهي أنْ أكتبك والليل قصير فلا يكفي؟! أبلُّ شفتيّ بين ثانية وأخرى وبياض الورقة امرأة تتعرى.. ياه.. أيّتها الأحلام السعيدة، كم أفتقدكِ؟

رويداً..

رويداً..

أحاولُ أَنْ أمسكَ على ما تبقى من ليلٍ يشيخ.

(عمان 3/4/2000)

---

* شاعر عراقي يقيم في عمان.

بعضه سيدوم كالبلدان

علي البزّاز*

هذا المغنّي الشاسع المكان، الطائر وحده من يناله
هذا الذي بعضه سيدوم كالبلدان
كلانا من اللحاء الذي يجود بالإملاق
نارهم شبه النار
نارك: حفنة من القصائد قادرة على إيواء السنبلة
قادرة على تنقية صراخنا من التجاعيد
نارك: صحراء النار
{حصىً لا يدخر ماءً لمكوثه، أحجار
حفيفها يسبق الرسائل
وليل يتلعثم بنزوحه}
نارك: أرق التضاريس لا يسنده النوم
صوتك كالبذار جلّ أمانيه الخضرة
مفتون بالبساط الذي فيه اشتغال اليد
فيه، يتنحى الغدر عن ماضيه

وتلبث الأصابع مرسى،

أيها الماثل في الكأس، جموع الدفاتر مساؤك

أحياناً: أسمعك من العاج

ثمة ساقية مجزّأة لانقطاعك عن نسجها

هناك سماء محتشدة العيون، انبهارك يسيل من معظمها

كأنك تتلقف أحواضاً وارفاً نومها

إليك الجسد يتحاشى هزاله

هناك مساء أستعيره ناقصاً دون اشتعالك،

فمك الآن نادر الوقوع

أراك مُلمّاً بشعاب الصيف، لنا من شحيحها: عناق

يا من يفرش للمكان إقامة إذا أزاحه الفراق

أراك شمعة غير قابلة للاختصار

وسطراً،

وحيداً ينتشر

ولكنه جمهرة

أنت المقصود بالفجيعة

وهكذا يمكنني اقتناؤك!

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

عيد الفقر المبارك

علي حبش*

ها هو في الخامسة والثلاثين من حزنه
يدخل عام ألفين..
بجورب قديم
وحروب كارتونية،
لقد وصل العيد قرب الجامع يا أبي
السعادة تهندس المكان
والمنزل عامر بالصدى،
اللغة تبتكر سكاكين جديدة ومعاول
وشتاء أكل مجده بالشتائم وأعواد الثقاب والظلام
الظلام الذي كرهناه
تزوج المدينة ولم ينجب أبطالاً
لذا من شدة العمر انفرطنا..
أحلامي دراجة هوائية،
العيد فكرة قاسية في بنطلون..

الحصان يسحل عام ألفين بعربة قديمة
والأطفال محشورون بالتصفيق
الأصالة تفرز أبطالها بهدوء.

* * *

في البيضة نجلس مبتهجين بالصباح
نعقد صفقة مع الديون
ثم يترهل العقل..
كيس النفايات مات حزنا تحت المغسلة
وما زال السوق يتحدى خطوتي وسط المدينة
المجد يقترن بالعملة
والشعر عطلة رسمية
هكذا ترفعنا الحقيقة بأذيالها
اللغة إذاً تابوت واسع بنيناه،
ماذا سنترك لهم؟
السقوف لا ترتفع
تتجه يميناً أو شمالاً مثل حياتي
والشعر أكل أثاث المنزل مخلفاً الصدى،
الجيوب تعطلت من واجباتها الأبدية
الجيوب وأصابعي والحياة
بينها ينتحر شارع الرشيد
ماحياً فكرة البلاد
هل حياتي وزن من البطاطا؟
بعلبة سجائر أبرهن عن غد أكيد
مرات عديدة أعبر دجلة بلا أمل
نظراتي على سائق الحافلة وهو يبرر الزمن بالوقود الأسود ويبتسم،

كيف أهادن صورة الأرض وهي نائمة في زجاجة؟
في باب المعظم
رأيت التاريخ ميتاً على جسر المشاة
لماذا ترتجف هويتي في السيطرة؟
لو المكان يتحرك
لكانت الصحراء أول الفائزين
الزقاق ثم المقهى ثم ساحة الأندلس
سنوات طويلة بلا جسور
هل الطائرة حقيقة إذاً!
إنني لا أملك جوازاً للسفر
لكنني شاهدت كل أوروبا
في شظية سقطت قرب مدينة الطب(1)
للصواريخ نغمة شعرية أيضاً،
عقرب العالم يتقيأ ما بنيناه في المزادات
والساعات الملونة دمية جميلة خلف زجاج الشارع،
الأمنية سرقتها الحدود
والمعنى مسافة بين المنزل وأفران الخبز
حفظتها أقدامي
رائحة القبر تقترب لولا الأصدقاء..
ربما المعنى دراجة هوائية،
حاولت أن أبيع الحقائب ولم أفلح
الحقائق لا تُشترى في بلادي
مثلما الشمس والحب والبحر دلالات عاطلة

* * *

الكتب والملابس تزاوجوا معاً في المكتبة

والصدى فضاء أسود يأكل الغرفة
لم أشتره يوماً من السوق
كيف اخترق النافذة قبل القنابل؟
لقد مات الحب على حبل الغسيل
الجدران أربعة مسامير عارية
والشخير الذي يملأ الغرفة يشبه المعركة
المنفضة الوحيدةُ التي جمعتُ بها أيامي ما زالت تعمل!
السوق هو الطبيب المعالج للعائلة
والشوارع بلا لياقة تتكاثر
رأيت حياتي معبأة في الزجاجة على الرف بأناقة قاسية
حاولت أن أشتري نصفها
فسمعت وحدي نباح أطفال خاسرين
عام ألفين أو الحوت الأسود الذي يغلف المستقبل
يذكرني بأرقام حسابية،
الذكرى مشروع دائم للهزيمة
أكتشفُ حقولاً للتصفيق،
خيط رفيع بيني وبين الجبل
لقد تناسلت الجبال في الوادي وخسرت المدينة عتباتها
هل أنا دمية للسياحة ولجان التفتيش؟
هل العائلة مختبر للمستقبل!!؟
حضارة سومر تصاب بفقر الدم
هكذا يقف عام ألفين على الصحف ويعلن بأنيابه
أن خلف ظهرنا نهاراً خائناً
وأن الشعر عطلة رسمية.

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

(1) مدينة الطب مستشفى في بغداد.

أسعد رجل في العالم

كزار حنتوش*

أنا القبطان (ك)، أبحرت من مرفأ سعيد جداً كمدلك الغلمان المرد في حمّام السعادة، أبحرت دون منظار مكبّر، ولا بوصلة، ولا مؤونة، لقد سرقت المركب، وجدّفت على عجل في موهن من الليل، فلا وقت لديّ لهذه الأمور التافهة!! حسبي الغيمة البرتقالية دليلاً! والأسماك الطائرة طعاماً.. حسبي أن أزجي الوقت بقراءة كتاب الأفق نهاراً.. وبمناجاة النجوم ليلاً بعد أن صرت في عرض البحر.. انطرحت على ظهري متأملاً الماضي، تاركاً المركب يقودني إلى ما لا يعلمه إلاّ الله.. ونهاراً بعد نهار، أو ليلة إثر ليلة.. بدأ قلبي يتعافى، وروحي بدأت تصفو كالسماء التي فوقي.. وكنت أتأمل المستقبل رغم الضباب والأنوار.. ولم التعب!! سيجيئني شئت أم لم أشأ.. سيجيء إن لم يهج البحر أو يبتلع مركبي.. الغمامة البرتقالية تتموج كضوء ثريا في قصر فكتوري.. الأمواج تلحس مركبي كما يلحس الدب العسل.. والرذاذ الفيروزي الكامد يمنح وجهي سمة ملك إغريقي، مغلوب في المعركة، القلب يدق.. دي.. دي.. دي.. مدوياً كساعة «القشلة».. لقد تركت كل شيء ورائي، القصائد، والخمر والتمر والقطط والأصدقاء المعادين.

كنت دفنت نفسي في الرمل ثلاثة أيام، لأغطس بعدها في البحر.. منظفاً رأسي من الذكريات السيئة وقلبي من عقابيل الندم الأسود. عندما أبحرت وابتعدت عن السواحل، أوشكت أن أرفع عقيرتي بالغناء، لكنني بدلاً من ذلك، رددت قصيدة للمتنبي فيها هذه الأبيات:

«تكالبت الهمومُ عليّ حتى

فؤادي في غشاء من نبال

فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ

تكسرت النصالُ على النصالِ

وهاك فما أبالي بالرزايا

لأني ما انتفعت بأن أبالي».

أنا الآن نظيف وشفّاف مثل شال أميرة هندية بين زرقتين أمضي، الحيتان تحفُّ بي، وسمك القرش يلاعبني، ويدفع مركبي.. رأسي نظيف مثل لبّ اليقطين، كما لو كان محشواً بالتبغ الهافاني الفاخر.. أخذ يدخّن بدلاً مني، فتتصاعد سحابات لطيفة، مُشَكِّلة بمساعدة الرياح الصديقة.. صورة حبيبتي التي ماتت منذ عام بداء السرطان، كان مركبي المصنوع من جلود وحيد القرن وعظام الزرافة يترنَّح فوق البحر، ترنُّحاً هادئاً.. وكانت يداي غير معنيتين بالتجديف.. كانتا تتحسسان ذقني النابتة كالعاقول، ووجهي الجاسي كوجه فرّان، أو حداد، أو عامل منجم أو بحار.

أنا لست بحّاراً بالضبط، وإنما أنا سحابة من غليون بحار.. يطلقني، فأنتشر.. وأنتشر.. لا يقدر على اصطيادي أحد.. ولا يقدر على ابتلاعي موج.. أنا فتيل مبلَّل لشحنة متفجرات.. أهسهس وأهسهس فقط.. دخاني هو الذي يعمي.. وماذا أربح لو انفجرت؟ إذا كنت الذي سوف يموت؟!!

لقد رميت مذياعي الصغير في البحر.. نزعت سائر ملابسي، ورميتها للبحر.. تهت طويلاً في الصحراء.. فلأجرب أن أتيه في البحر.. الغيمة البرتقالية أضحت شقراء هذا الصباح فاستبشرت.. قادتني الغيمة إلى ملجأ بحري بين جبلين من المرجان.. أوثقت حبل مركبي، بنتوء في الجبل، واستلقيت على المرجان.. وسرعان ما هدأ نبضي ولفحتني ريح سعيدة حارة لكنها مشربة بطعم كالنعناع.. قرّرت أن أمكث هنا.. إلى أن يغير الله أمراً كان مفعولاً.. كانت الحيتان تأتيني بالمؤن.. وبعض قطع المراكب الغارقة لكي أنضج عليها طعامي.. وأسماك القرش، بالسمك الذي تلمع حراشفه كالفضة، وأقتات على ما تحمل أشجار جبل المرجان من تمر.. وكانت الدلافين تؤنسني في ليل البحر الطويل.. كنت سعيداً.. بل كدت أموت من السعادة.. لقد فصلت على السعادة بإتقان كما تفصل بدلة الجنرال في البحرية الأمريكية، لقد تزوجت من دلفينة مدللة.. وتلقيت التهاني من شعوب البحر.. التي نصّبتني ملكاً عل البحر، وبعد الانتهاء من المراسيم، ألقيت فيهم خطبة

عصماء، تحدّثت فيها عن جنة العزلة وبهجة الوحدة، فصفّقت لي السلاحف الكبيرة كثيراً.. عشقت زمناً لا أدريه.. لم أهرم أو أترهل.

كتبت أشعاري على ظهر الحيتان.. وهي تمخُر بي البحر، وصنعت تمثالاً لحبيبتي التي ماتت بالسرطان دون أن آخذ باعتراضات زوجتي الدلفينة المدلّلة، وعندما جاءني صديقي المخلص، سمك القرش، «حساني» بسجل كبير.. كدت أنفق من الفرح، كنت أذرف الدموع، عندما أشتاق إلى أهلي وإلى ساحلي الأول فتلومني شعوب النهر.. وتردد دلفينتي المدللة التي حفظت عن ظهر قلب أشعار المتنبي (إنّ دموع العين كفرٌ بربها.. إذا كنّ إثر الغادرين جواربا).

أجمل الموسيقات سمعت.. أجمل السنوات مرّت عليّ.. أحلى الخيالات مرّت ببالي.. وحتى الآن، ما زلت أتنقل على محفة مرجان.. في الجبل، أو على ظهر حوت البحر، فارضاً الأشعار في الصحو وفي النوم، مليئاً بمياه الفضّة والرياحين.. سعيداً مع شعبي وسأظلُّ هكذا أبداً..

أسعد رجل في العالم..

---

*شاعر عراقي يقيم في الديوانية.

المساءُ المعلّق

كمال العبدلي*

إذا كان العالمُ عادلاً..
فلماذا تتقافز التأوّهات
من شجرة أشعاري؟؟

*   *   *

على ضفيرةٍ.. من مساءٍ قديم
بقيتْ بقعٌ منْ دمائنا عالقةً
لم يغسلها مطرٌ بعد!!

*   *   *

أيها الشاعر..
توقّع حروبَهم دائماً..
لأن عالمهم..
لا يتوسّد أحلامَ القصائد

*   *   *

على حيطان الشوارع والبنايات
علّقوا صورَ الاطمئنان
فلماذا لم يتوقّف..
حصانُ القلق الراكض بي؟؟

*   *   *

من كتبَ الحرفَ الأوّل ؟
أيها الغائب عنّا..
ليسمّوك «الإنترنيت«؟

*   *   *

المساءُ المعلّق
على رقبة اليوم
لا طعامَ له..
غيرُ عينيّ المحترقتين.

*   *   *

ما أن أضيعَ مفتاحَكِ..
.. يا مدينتي ..
حتّى يُسلّمنيه ..
سكارى مهملاتكِ.

*   *   *

مهما بعُدْتِ
كان ظهرُكِ.. لصيقاً

بواجهةٍ زجاجية
من ضبابِ الوداع الذي..
أتلمّسه.

*　　*　　*

بأيّ جيبٍ من جيوبكِ؟
أم بأيّةِ خبيئةٍ من خبيئاتكِ
سأجدُ فمي الذي سرقْتِهِ
لحظةَ الوداع؟

*　　*　　*

لنا في «هانوفر» امرأة
متقلبةً تنام..
مرةً على جمر حنين،
ومرةً على.. ذراعٍ بعيدة
نساءُ «هانوفر»..
لا يعرفن ذلك!!

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد .

كأن المفاتيح لا تعبر الضوء

محمد السيد محسن*

-I-

كم يتأنّى بريقك أيّها المأخوذ بالبنفسج
بهدوءٍ لا تعرف مجراه
مَرَّ.. كنافذةٍ على وجهِ من تحبُّ
وبعد شحوبٍ المساء
أهملَ طلقةً على وجنةِ الشارع
كم أنتَ تتنهدُ..
يوم كنّا بوجوهٍ مطفأة نتأنّقُ
بلغةٍ كأنها امرأةٌ من حلم..
كم كنت مثلهم..
.. جميعاً..
ترتدي دموع القباب..

وتشرب –حالفاً– على السبات
كم كنت يائساً
وحين تجردَتْ إلا من سلسالها الذهبي
وطلاء أظفارها..
امتقع إصبعك بالخجل
وهناك.. دفنتَ الأنين..
سواك..
ورحلت أيها المأخوذ بالانهزام
والصاعد دون تروّي
نحو بئرك الجليلة..
لا ترتبك..
ليس أنا من قال وداعاً..
إنه أنت..

–II–

أقول.. وقد لا أقول
وأرمي الرياحَ على كاهلِ الضوء
أفضي إلى العابرين بسرّ الدخان
أحيلُ انتظاري ركاماً
من العجز
أهوّن من سالفات الخطى والنهار
رأيتك غِلاًّ تصلّي
كأن المفاتيح لا تعبر الضوء
فارمِ الجدار..

وأصغِ إلى خطوة التبغ قبل الحريق..
فهذي خزانة بَوحي
وفيها رداءٌ تعرّى
متاع..
نبيذ..
شراع..
وبعض ضياع
وجوعٍ قديم
وإرثٍ جديد
قديم.. جديد.. كوعي الشجر
أحبك..
قد لا أقول
لأن انكسار العيون جذوري
وجذعك من كبرياء
أما زلت تضجر من وجهك البدوي!؟
وتسبح بالنهر مثل الخطايا
وتركض مثل نبي سيعرج
وأنتَ ستعرج
من يا ترى سوف يحظى بعكاز صبرٍ
فهذا البراق استفاق
وأنتَ.. وذاك النبيّ
بحلمٍ –بنارٍ– بصوبٍ شحيح القطا
تواري استحال الغبش..
أحبك..
أيّ انثلامٍ تحسّ
سأفضي إليك ممراً من الصبر والياسمين

وألمح فيك رجوعي
على هودجٍ خائبٍ لا يموء..
أحبك..
أقول..
وقد لا أقول.

---

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

مرور خرافيّ

ماجد عدّام*

يا للكارثة.. إنه طفح الذكرى
اصفرار اللّب،
في طيات الحلم.. رائحتك
بركان بأجنحة بيضاء،
يرتفع في ليل الخريف.. للعلا.

آه.. ألا أسقط على غصن
وآخذ برحيق مبتل
ليديها..
فأطارح فرحة يدي
إذ لم تمسك حرارتها
والعمر يتشجر فيها كالصدأ.

وافقتها لَعمْري العمر مسيرة موجة لا أكثر

.. الحياة ولادة موجة ليس إلا

الحياة ملتبسة تماماً

مثل «شارلي شابلن»:

ها أنا أتذكر

إني أكبُرُ أكبَرَ

أمرّ بزمن كثّة فيه الأسئلة

كدخان سيجارة في غرفة الاعتراف.

فكيف أبرر لكائن لا يفهم التنفس

.. بعمق للحياة

.. محاورته للأشجار

.. غرفته الطاعنة بأشيائها.

وأنا أمرُّ بزمن خرافيّ

ضاع فيه شيء

.. ..

أيها الوقت ضاع معك شيء

توزع على الآخرين.

تحت جسر المشاة.. أرتب أخطائي

العدوى، العجيزات، وظلالها..

السدرة، أنت شيخ مسدول

يتشنج وينبسط على مدار

العمر.. نقش جرحه

بين الأضلاع

عناوين أيامه، البيضة الخضراء، القبرة المريضة،
المسافة الفائتة عن بيت يفكر فيه
حتى آخر ضياع
لاستقرار الأمكنة.. فيه

* * *

المارة، ابتسامات، صرير
وقت، غيمة تتذكر
نعاس يتساقط تحت سورة لا تسرّ كثيراً
فوق جسر المشاة مراهقات
برائحة أيام قديمة

أكاشف الفراغ في جزرة
.. يمرُّ..
الوقت.. يعلق رفيف الانتظار على الأهداب
في موعد
أتفحص قرنيته وأذبل
في آخر الخد كدمعة
..
بين إصبعي ثمة شفة
للفراغ
..
وداعاً لفخك وانجرارك اللاهث حذراً،
وبرودك أخيراً،
لانسياقتك العذبة
وخصرك الناشف

وعينيك الرمليتين
بتقدير موعد
ينساب زمني.. منها..

وداعاً لحضورك الحرّ
لقدمك الباهت رغبة تتنازل
عن رغبتها .. فيّ

*   *   *

بلاط وسجائر وأعصاب وسهو وتفصد ناعم
هادئ لون رغبتها في المشي،
عندما تلتفت
أو تقف
العمر يبرر آخر أخاديد
.. الصرخات
.. ..
يزجني الوجلُ
بخطوات وأنف مستدقة
أتصبب ذكريات مالحة
عن ما سقط
من أجنحة
وانفرط بيَّ الكشف.

يسيل الوضوح متحلقا يشتم خيالها
أو أحياناً وهمها.. وأخرى
جناح إوزة

على احمرار أطرافي،
يسيل وضوحها على صفيح الذاكرة
والضوء يغرغر الرمل
بقضبانه.
.. ..
وداعاً للجسد الناضج على هاوية العناق،
المختلة،
المخاتلة.. لم تلمّ صدى الوقوع
وضل بين مروق سوداء
بعض مني..

* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

نزهة

نجاة عبد الله*

أول الكلام

كنتُ هدفاً للمرايا
لماذا رميت الحجارة فيك ؟!

آخره

لم أقبلها قط
كنتُ أتنزه في الظلام
حين سقطتْ
أقواس شمسها
فأضعنا نورساً صغيراً
وفطمناه
من هوس البياض

قُلتْ
لم أصفعها قط
تلك الصورة الذهبية
كنتُ أتنزه في الظلام

فوز

لماذا تُقبل جوادك
وتسبقه في المسير؟!
ولماذا تداعب قفزته
وتسبقها في الكهولة ؟!
ولماذا تكسر الحلبة
وتسبقها في الموت ؟!

غبطة

نحن إخوة يا أبي
هكذا يقول الصباح
وهكذا يقول الندم

محو

عليك أيها اللون
أن تكون مقاتلاً

غفوة

كان نوماً طائشاً
أمي تطعمني الحليب
وأبي مكتوف القارب
لماذا ترقص إذن
أيها الماء المنسكب
من كف الجوع ؟!
ولمن تغني تلك الأرامل
قرب النوافذ ؟!

أدعوكِ أيتها اليقظة
أن تمسكي صباحاً سعيداً
وتكتمي أقداح الحليب
وحبات الرمان
ودقائق القهوة
وتتركي لنا
نوماً طائشاً

عوائل

لدي بيتٌ سعيد
هذهِ المروحة للسقف
وتلك اللوحة للحائط
وهذا الطفل الأدرد للنسيان
لديَّ أصابع رعناء

هذا التمثال المتكسر لي
وهذهِ الصبية للضجر
وتلك أنا
أواصل صنع الرصاصات
لأبني حروب الثلج
بين الخديعة والصحراء.

---

* شاعرة عراقية تقيم في بغداد.

ودّعتني

وليد لصراف*

ودعــتــنــي والــدجــى ســاج يــدي بــيــدي
مــشــبــوكــة ويــدي الأخــرى عــلــى كــبــدي
عــيــنــاي تــنــظــر فــي عــيــنــيّ مــنــكــســراً
مــقــايــضــاً مــا تــرى عــيــنــاي بــالــرمــدِ
مــشــيــتُ مــلــتــفــتــاً نــحــوي، كــلاي بــكــى
وراح يــوغــل فــي عــذلــي وفــي فــنــدي
وقــفــتُ مــنــفــرداً فــي الــتــيــه مــنــتــظــراً
إيّــاي، وســط عــويــل الــريــح والــبــردِ
حــدّقــتُ فــي كــلّ ركــب عــائــد وجــلاً
مــفــتــشــاً بــيــنــهــم عــنــي فــلــم أجــدِ
مــســائــلاً هــل رآنــي مــنــكــمــو أحــد
شــبــهــي ولــكــن عــلــى الــعــشــريــن لــم يــزدِ
وقــلــتُ إذ لــم يُــجــيــبــونــي أؤمّــلــنــي
غــداً أعــود وإن أُبــطــئ فــبــعــد غــدِ

شـاب انــتـظـاري وجـاءت أعـصـر ومـضـت
وعـــاد مـــن حُـــسـبـوا مـوتـــى ولـــم أعـــدِ

* *   * *

ســـافـــرتُ لـــم أتّـــبـــع نجـــمـــاً ولا أثـــراً
أوغـلـتُ فـي الـغـيّ حـتـى بـان لـي رشـدي
يـــومـــي مـــفـــازة أوهـــام ســـريـــتُ بـــهـــا
عـــشـــريـــن عـــامـــاً فـلـــم أدرك ديـــار غـــدي
عـــشــريــن عـــامـــاً إلـــى مـــا لـــســتُ أعـــرفـــه
أمـــشـــي ويـــعـــدو ورائـــي لاهـــثـــاً جـــســـدي
ظـــمـــآن والمـــاء نـــادانـــي فـــقـــاطـــعـــه
صـــوت المـــيـــاه الـــتـــي جـــفّـــت فـلـــم أردِ
واشـــتـــدّ بـــي ظـــمـــأي والـــنـــار إن ظـــمـــئـــت
لا تـــشـــرب المـــاء لـــو مـــاتـــت مـــن الـــصـــردِ
وجـــهـــي مـــن الـــثـــلـــج قـــد صـــيـــغـــت مـــلامـــحـــه
وبـــيـــن جـــنـــبـــيّ يـــغـــلـــي مـــرجـــل الحـــردِ
تـــبـــدو لـــيَ الأرض ســـكـــرى وهـــي دائـــرة
تـــكـــاد تـــهـــوي بـــأهـــلـــيـــهـــا مـــن المـــيـــدِ
مـــن فـــرط مـــا شـــربـــت عـــنـــد الحـــروب دمـــاً
مـــعـــتـــقـــاً فـــي الـــثـــرى مـــن ســـالـــف الأمـــدِ
أرنـــو إلـــى شـــمـــســـهـــا شـــزراً فـــأبـــصـــرهـــا
تـــشـــعّ أحـــلـــك لـــيـــل وهـــي فـــي الـــرأدِ
وأقـــرب الـــبـــحـــر فـــي أمـــدائـــهـــا فـــأرى
حـــتـــى لآلـــئـــه ضـــربـــاً مـــن الـــزبـــدِ
شـــرّقـــتُ حـــتـــى جـــعـــلـــتُ الـــشـــمـــس تـــتـــبـــعـــنـــي
إلـــى ديـــار إلـــيـــهـــا الـــشـــمـــس لـــم تـــفـــدِ

وانساب صوتي بصمت الكون عالقة
بسجعة الطير فيه زأرة الأسدِ
وقلتُ يا ناقتي الظمأى إذا امتلأت
بغير ماء الصِبا الوديان لا تردي
ويا رياحاً تدعّ الغيم في أفقي
خذيه إن سحّ غير الدم وابتعدي
ويا بطوناً بما لم يأتِ قد وعدت
إذا حملتِ سوى ما فات لا تلدي
مسافرٌ دون زاد حاملاً وطني
من طنجة لذرى نجد على كتدي
بكل من ولدوا فيه ومن دُفنوا
في كل ما فات عبر الدهر من مددِ
من يوم أن خلع ابن العاص خاتمه
لكي يثبّت حكاماً بلا عددِ
صفين تحشد في نومي عساكرها
وتقطع الدرب بين النوم والسهدِ
والنهروان وأنهار الدماء بها
للآن إن غاض منها البحر يرتفدِ
وكربلاء التي رأس الحسين بها
ما زال يبحث عن عنق فلم يجدِ
تقضّ رؤياه مقطوعاً على طبق
نوم الفرات فلا يغفو إلى الأبدِ
يطوف في الليل مقطوعاً على طبق
كالطيف في مدن نامت على النكدِ
محلّ زمزم بئر النفط حلّ بها
والطائرات محل الطائر الغردِ

فـــرّت غـــداة رأت بـــلـــقـــيـــس لجّـــتـــهـــا
وهـــاجـــرت هـــاجـــر مـــنـــهـــا ولـــم تـــعـــد

مـــدائـــن خـــاتم ابـــن الـــعـــاص طـــوّقـــهـــا
فـــلـــم تـــبـــد طـــوقـــه يـــومـــاً ولـــم تـــبـــدِ

كـــأنـــهـــا جـــســـد لا يـــســـتـــوي أبـــداً
ولا يـــقـــوّم مـــا فـــيـــه مـــن الأودِ

وأورشـــلـــيـــم ومـــا أخـــفـــى الـــيـــهـــود بـــهـــا
كـــأنـــهـــا عـــورة فـــي ذلـــك الجـــســـدِ

لـــم يـــخـــفـــهـــا ورق الـــتـــوراة إذ خـــصـــفـــت
ولا الـــذي خـــاطـــت الأعـــراب مـــن بـــردِ

نـــكـــراء إن ســـتـــر الـــتـــطـــبـــيـــع ســـوأتـــهـــا
أبـــدى الـــتـــطـــبـــع مـــن ســـوءاتـــهـــا الجـــددِ

فـــي جـــنـــة عـــرضـــهـــا مـــن طـــنـــجـــة لـــذرى
نجـــد بـــأثـــمـــارهـــا الجـــنـــات لـــم تجـــدِ

تـــفـــتّـــح الـــورد عـــن أحـــجـــارهـــا وجـــرى
مـــن تحـــتـــهـــا الـــنـــفـــط أنـــهـــاراً مـــن الـــشـــهـــدِ

خـــمـــســـون عـــامـــاً ومـــنـــهـــا بـــعـــدمـــا طـــردت
ومـــا تـــزال بـــهـــا فـــي عـــيـــشـــة رغـــدِ

* * * *

بـــانـــت تجـــاعـــيـــد هـــذا الـــدهـــر أجـــمـــعـــه
فـــي لحـــظـــتـــي وأنـــا فـــي مـــيـــعـــة الـــغـــيـــدِ

أنـــا الـــشـــهـــيـــد يـــغـــار الـــدهـــر مـــن عـــمـــري
ومـــن دمـــائـــي يـــحـــسّ الـــبـــحـــر بـــالحـــســـدِ

---

* شاعر عراقي يقيم في الموصل.

عبد الوهاب البياتي و«الكتابة على الطين»
البحث عن جلال الحياة الخالدة

ماجد السامرائي*

أحسب أن عبد الوهاب البياتي، الشاعر، لم يكتب، على مدى حياته الشعرية – وقد امتدت نصف قرن في الشعر –ديواناً نظيراً لديوانه: «الكتابة على الطين» بما يفيض به هذا الديوان، شعرياً، من إحساس مأساوي وفاجع في معاينة الإنسان وجوده في العالم، وموجهته، «ذاتاً»، لهذا العالم .. بما يجد نفسه مهدداً به من «عدم» ينجذب إليه، إحساساً وشعوراً، بقوّة الانهيارات، في داخله وفي مستوى الواقع.. لتصبح «الكتابة على الطين» شهادة إنسان يبحث عن «بقاء» لما يقول دافعاً به تاريخ الإنسانية بما جرّه هذا التاريخ على حياة الإنسان من شقاء، وألم .. فأطرها بإحساس الفجيعة.

في «الكتابة على الطين» نلتقي البياتي شاعراً يقترب كثيراً من بداياته الأولى – وإن من حيث التوجه الشعري وحده–تلك «البدايات» التي اقترنت عنده بالنظر إلى الداخل، وبذلك «الاختيار الوجودي» لمسارات الفكرة والرؤية. وأما «تعبيره» عن هذا فمختلف، هنا، عما كان عليه في تلك البدايات (التي نعني بها، بوجه خاص، ديوانه الثاني: «أباريق مهشمة»–1954). فهو لم يعد «تعبيراً عن الفرد»، ولا «إفصاحاً عن الخيبة»، أو احتجاجاً على «سجن الوجود» –في ما أشاعته «الوجودية» من الأفكار والرؤى بين شعراء الخمسينيات ومبدعيها– وإنّما هو في هذا الديوان تحديداً –يمثل هذا الاختيار» –بمعنى: «كونية الرؤية» التي «تثقلها الكثافة الفكرية وشيء من غموض التعبير ..»(1) فالتحول الأساس الذي يسجله هنا، في مستوى المنجز الشعري، هو: التحوّل الدلالي، والانتقال من «الشخصية»، ببعدها الرمزي، إلى «البنية الأسطورية»، إذ يتكامل الواقع المعبّر عنه من خلالها في أفقه الرؤوي باتصال الشاعر بالبعد الرمزي للكتابة الشعرية اتصالاً أعمق، وأشد كثافة، مما كان قد تحقق عنده من قبل .. فهو، هنا، يجعل للرمز فضاء حركة يأخذ فيها مداه، ويترك للشخصية، بمحمولها الرمزي، أن تتحرك باسمها «التاريخي»، كما تتحرك بموقفها الذي يخص الحاضر ويعنيه –خالقاً حالة من التقارب (الرمزي) بين

«الوجه التاريخي» للشخصية وروح الحاضر، في نسيج العلاقات وفي تبدلات المواقف والرؤى –وهو ما يجعل قصيدته تتحرك في اتجاهين متلازمين:
– اتجاه أفقي تشكل فيه (القصيدة) نسيجها اللغوي في مستوى الصورة الشعرية، تكويناً وامتداداً..
– واتجاه عمقي في مستوى العلائق التي تنظم الطبيعة المجازية للصور والاستعارات..

* في دلالة العنوان

يستوقفنا، أولاً، عنوان الديوان: «الكتابة على الطين». فالطين، كما تذهب كتب الآثار القديمة، مادة لا تفنى .. والكتابة عليه، في هذه الحالة، تأتي حفراً فيه .. فهي تأخذ صورة بقائه، وتظل رسالة واضحة لمن يقرأها. «وقد مدح الكتبة البابليون الطين المغسول جيداً بالماء وَعَدوّه ضرورياً لحضارتهم».(2)
وكل من «الكتابة» و«الطين»، بعقد الصلة بين المكتوب والمكتوب عليه، هي مثار تفصيلات كثيرة، ودقيقة، لعلها من بعض طاقات الإيحاء التي يحملها العنوان، والتي تترك للخيال الكثير مما يتوقع أن ينتهي إليه من خلال القراءة.. وقد توحي هذه القراءة، من خلال اقترانها بالمكتوب عليه (الطين)، بما يشكّل دلالات رمزية متعددة.
وإذا كانت الكتابة هي ما يجلو الوجود للموجود (الإنسان القارئ)، فإن «اللغة» التي تنشئها الكتابة هي التي تحقق «الهيمنة» على هذا الوجود، بما تحيطه به من «معنى». وإذا كان «إنسان الماضي» قد استمد هذا «المعنى» من «مجهول» اتخذ ما اصطلحنا عليه، من بعد، اسم «الأسطورة» .. فإن «إنسان الحاضر»، غالباً ما يستمدّ معناه من «معلوم»، وإن كان، في بعض الأحيان، يعاني في مسألة بلوغه ما يعانيه «طالب المعرفة» من مجهود وهو يتقرّى رؤيا المصير.
إلا أن الكتابة على الطين، في وجهها التاريخي، كتابة بالصورة والرمز.. فهي «من صور حقيقية مرتبة ترتيباً متقناً، ومن رموز تمثل أفكاراً ومعاني معينة»(3). فالكتابة، من زاوية النظر هذه، جامعة دلائل تاريخية، يتضمنها ما تنتج من «لغة» .. فإذا ما أردنا منها ما يخصّ الأدب، فلا بدّ من البحث في الخصائص المميزة للكتابة، فناً وموضوعاً.. إذ أن هناك فواصل الزمن: بين زمن خاص وآخر عام.. بين زمن ذاتي – راهن وآخر موضوعي– تاريخي. وهناك، أيضاً، امتزاج الرؤيا والأسطورة، وتداخل عالم الذات مع الأبعاد التاريخية لتكوينه، وتغيرات الحياة وتبدلاتها وتحوّلات الأزمنة، فهي، في هذا كله، لغة ابتكار جديد تتشكل من خلال رؤيا متجددة للعالم، وفي العالم.
إذاً، هي «استعادة صيغة» لوضع / كتابة «عنوان» له هذا التواصل الملحمي التاريخي الممتدّ من «الكتابة إلى اللغة» ومن «اللغة إلى المعنى»، ومن «المعنى إلى الأدب» –بتكامل عناصره التي تقوم، في حالة الإبداع، على الاكتشاف والدهشة.
إن «الكتابة»، في أبعادها هذه تؤكد / تثّبت هذا كلّه: فهي «خلق» و«تدوين خلق» ...وهي، أيضاً، «كتابة الذات» في جوهر علاقتها بالعالم، وبتاريخية هذه العلاقة.

ولكن – وهنا السؤال – ما الوجه الآخر لهذه العلاقة بين «الكتابة» و«الطين» في مسار هذه الرؤيا؟ هنا يتعين بحث آخر.

إن «اللغة» تبحث عن «مكانها» لتستقر فيه وتمثل، على نحو مجسد، فهمها للعالم، ووعيها به، وكيفية تلقيها (تعاملها مع) مؤثراته. وإن ذلك الذي كتب بدءاً إنما كتب وهو يعلم أنّ الكتابة ستبقى من بعده .. (ولكن، هل كان يدرك، وهو ينحت حروف اللغة وكلماتها، أن هذه «الكتابة»، ستتقدّم وتتطوّر، مستوعبةً الكثير من أحلام البشر والمزيد من عذاباتهم وصراعاتهم من أجل البقاء أولاً، وأنها ستطرح على الإنسان والوجود سؤال الحياة والموت، وأن هذا السؤال سيلتقي، مجدّداً، ما ابتكره عقل الإنسان الأول من أساطير، وهذا بذاته، سيؤكد مواقف، وحالات، مبتعثاً الرموز من مكامنها، في «الذات الإنسانية» أو في أسفار الميثولوجيا. كما أنه سيؤكد أمراً آخر، ربما كان أكثر أهمية، وهو: أن الإنسانية تلتقي عبر أزمنتها المختلفة، كما أن المصائر تتكرّر واقعاً.. وتظلّ «صور التعبير» حيّة وحيوية، بحكم ما تمثله من «أفكار» هي الأخرى، حية، متواصلة).

من هنا تستأنف «الكتابة على الطين» دورها، و«حيويتها.. فهي ليست شيئاً كتب في الماضي وتم إنجازه، حسب، ونحن، هنا، نعيد اكتشافه، فنقرأه.. وإنما هناك «متعة» استئناف الكتابة، وإنْ في اتجاه آخر – هو ما يجعل «المكتوب» يفيض بحياة أخرى، فإن لم تكن «جديدة» فهي «متجددة» من خلال / بفعل ما ينتظمها من رؤيا .. يعاد بها / ومن خلالها نسج آفاق الوجود التي تفتحها الرؤيا الجديدة.

ولكن –وهنا سؤال آخر– هل نستطيع القول: إن الشاعر هنا، في هذا الاختيار لعنوان ديوانه الذي يشمل، بالتعيين، قصائده فيه .. كان يفكر بحاضره عن طريق الاهتمام بماضيه– متمثلاً هذا الماضي في صورة «الكتابة على الطين»؟

أمام هذا السؤال أستحضر تلك الصورة الختامية التي رسمها «إدوارد كييرا» وهو ينهي فصول كتابة المهم والممتع «كتبوا على الطين» .. تلك الصورة التي لا تخلو من بعض معطيات الخيال الأسطوري، وقد تشبّع بها ذهنه وهو يمرّ بتعاقبات الحياة، والتفكير، والتعبير في حضارة وادي الرافدين.. ليجد أن ذلك اللغز، وتلك الأسطورة، والقصة الخرافية التي كانت إلى ما قبل اكتشافنا لها وكشفنا ما تتضمّن، تغطي وجود إنسان عصرها، بكل ما أحاطها من غموض.. فأصبحت، بعد حلّ رموز الكتابات التي عبّرت عنها، «واضحة لدرجة أنّ بعض النواحي المتعلّقة بفعالية الإنسان القديم جعلت العصور المظلمة قريبة منا»(4). وبالمقابل، فإنّ ما يتوقع من صورة ستكون لنا، في مستقبل غير منظور، في أعقاب حرب كونية جديدة، تجعل مصير حضارتنا الفناء .. ماذا سيبقى «منّا» للإنسان الذي يكتشفنا بعد ألفي سنة؟

يرى «كييرا» أنّ ما سيبقى من «معاملنا» لا يزوّد هذا الإنسان إلاّ بالقليل الذي يمكن أن يعرفه عنّا، ربما لا يمثل شيئاً من حقيقتنا، ولا يدل على هذه الحقيقة –ذلك أنّ ما سيندثر كلّياً هو» فكرنا، وإبداعنا، ونتاجنا الفكري والعلمي .. لأنّ «جميع كتبنا ومؤلفاتنا سيكون مصيرها الاضمحلال «فيذهب» النتاج الحقيقي لحضارتنا ضياعاً إلى الأبد».(5)

ويضيف «كييرا» إلى هذه الصورة ما يراه من بعد واقعي، إذ يقول:

«وفي خلال مراحل التنقيب هذه سيقوم علماء الآثار بعمليات التنقيب ثانية في بلاد الشرق الأدنى،

وستبقى تسعون بالمائة من الرقم الطينية البابلية، التي لم ننقب عنها، تنتظرهم مطمورة في مهادها لتقصّ عليهم رسالتها، وسنقصّ عيهم ثانية تاريخها القديم، وعندئذ سيقوم علماء الغد بترميم هيكل الحضارات القديمة ثانية، ومن المحتمل أنّ قرارهم سيكون بأن العصر الذهبي للحضارة الإنسانية كان في الألفين الثاني والثالث قبل الميلاد. وأنّ الذين سيطروا بعد هذا التاريخ كانوا من البرابرة الذي شوّهوا معالم الحضارة تشويهاً كاملاً بآلاتهم ومخترعاتهم الميكانيكية فسببوا، في نهاية الأمر، تدمير حضارتهم على رؤوسهم»(6).

فهل جاء اختيار البياتي عنوان ديوانه هذا (الكتابة على الطين) بناءً على / وانطلاقاً من تصور قائم على مثل هذه الرؤية، أو أنه أخذ نفسه بمثل هذا الموقف في تمثل واقع حضارة عصره؟ أم أنّ فكرة «الكتابة على الطين»، بذاتها- كحالة خالدة لا يؤثر فيها الزمن ولا تستجيب لعالم المحور السهل -قد أغرته فاجتذبته إليها؟ أم أنّ الأمر، في هذا الاختيار، لا هذا ولا ذاك، وانما جاء بفعل انجذاب إلى ما يتضمنه مثل هذا العنوان من روح أسطوري؟(7)

* مستويات الرؤيا ووجوه التعبير

تأخذ «الكتابة» في هذا الديوان معنى / أبعاد التعبير عن «شخصيات-مواقف» تمثل، ذاتاً، رموزاً وجودية – إنسانية ويتمثّل الشاعر فيها / ومن خلالها: الإنسان في ما يرى، ويعيش، ويعاني من مأزق وجود تتداخل فيه صور الأشياء: مواقف، وحالات، وتطلعات، ورؤى .. فلا تملك انفصالاً عن بعضها البعض، فإذا كان الشاعر، في مواجهة مثل هذا الواقع / الحالات، يكتب «فوق الطين ما قال المغنّي للمساء»، ويعري الكلمات في هذا الذي يكتبه» فهو إنما يفعل ذلك كي يطلق صرخته من أعماق واقعه هذا:

«آه من عري سماء الكلمات
تحتها أرقد قشّاً، مومياء
صامتاً أنتظر البعث ألوف السنوات
حاملاً موتي معي، جوّاب آفاق، بلا زاد وماء».

فإذا ما تمثل صورة الشاعر، في هذا كله، وجدها في «العرّاف الأعمق» وهو:
« يخفي وجهه تحت القناع
ويعاني في حضور الكلمات
وحشة النبذ بأرض النوم والسحر، وآلام المخاض». (قصيدة: النبوءة)

إلاّ أننا يمكننا أن نميّز ثلاثة مستويات أساسية في هذا الديوان، نحاول النظر إليها بشيء من التخصيص

يوازي الشمول الذي نجده في دواوين أخرى للشاعر، بعضها سابق، وبعضها الآخر لاحق. وهذه المستويات هي:

أولاً: المستوى اللفظي: فالمفردة الشعرية عند البياتي، في شعره بوجه عام، ليست «مفردة بيانية»، وإنما هي، في الحالات الغالبة، مفردة مستلّة من لغة الحياة اليومية، تقوم على شيء غير يسير من اللقاء المباشر مع اللغة في واقعها اليومي.. فهي لغة مفتوحة أمام الوعي تشكيلاً وفي ما تحمل من رسالة.. لا انغلاق في معانيها، ولا تعقيد في بنائها وتكوينها –وإذا كنّا نجدها، في بعض المواقف والحالات، ترتقي إلى مستوى الإشارة، أو تأخذ بالرمز دلالةً (الرمز البسيط، المعروف والمألوف)، فإنها، في حالاتها هذه جميعاً، تبقى مفردات مفصحة عما تحمله، ومحمولها غالباً ما يجيء بواحدة من دلالتين:
– فإما دلالة تحريضية (كما في قصيدته: «المجوسي»):

«المجوسيّ من الشرفة للجار يقول:
يا لها من بنت كلبة
هذه الدنيا التي تشبعنا موتاً وغربة
كان قلبي مثل شحّاذ على الأبواب يستجدي المحبّة
وأنا لم أتعدّ العاشرة
فلماذا أغلق الأبواب في وجهي؟
لماذا عندليب الحب طار؟
عندما مات النهار».

– أو دلالة متضمنة موقفاً ومعبّرة عن هذا الموقف (كما في قصيدة: هكذا تكلّم زرادشت)..

« هذه الليلة مرّت عدماً، صفراً،
وها أنت طريد
حاملاً ناري إلى عصر جديد
رافضاً كل الشعارات ومصلوباً على بوابة الرفض
وملعوناً وحيد».

وهذا هو ما يدخلها في المستوى الآخر:
وثانياً: المستوى المضموني.. حيث تقوم «الجملة الشعرية» في قصيدة البياتي على احتواء المضمون الشعري/ والأفصح عنه بالكشف والتجلية.. مما يجعل جملته هذه تمنح المتلقي «موضوعها/ مضمونها» و «دلالتها» في آن معاً –وإن كانت هذه «الخاصية» في شعر البياتي كثيراً ما تتحول باللغة عنده من «طابعها الاستعاري» إلى واقعها «الوصفي» –ولكنها، في الحالتين، تبقى مفصحة عن «رؤية» ومجسّدة لـ «دلالة» –وإن كانت كل من هذه «الرؤية» و «الدلالة» تمثل نمطاً تختص به قصيدة البياتي

أكثر من سواها.

وثالثاً: إذا كانت لغة البياتي الشعرية تتركز في المعنى، وتركّز حضورها فيه .. فإن هذا «المعنى» هو ما يشكل المستوى المضموني الذي يعمل الشاعر على استيعابه وتركيزه في «جملته الشعرية» .. فهذه الجملة متصلة عنده بالشكل (شكل القصيدة) الذي هو، في شعر البياتي بعامة، شكل بسيط: غير معقّد ومتداخل أو مركب.. ويشكل تتابع السرد أساساً في قيامه واستوائه.
فإذا ما نظرنا في هذا الديوان من زاوية أخرى (علاقة الإنسان بكل من الزمن والتاريخ الزماني) سنجد: الزمن والإنسان والتاريخ – هذه العناصر التكوينية الثلاثة– هي ما يشغل البياتي الشاعر. فهو يبحث من خلالها في ما يمكن أن نرى فيه «إشكالية وجود» –هو هذا الوجود الإنساني معبّراً عنه من خلال «الرؤيا الأسطورية» التي يجعل لها نوعاً من التعيّن الزماني. وفي تمثّل هذه العناصر الثلاثة، بما لها من «حركية تكوينية»، وبما يخلق بينها من علاقات اتصال وحالات انفصال، يبني الشاعر موقفه الشعري على ما يمكن أن ندعوه «علاقة تنافذ» بين:
– الزمن: حركة تشكّل قانونها الخاص، وتتدخل في طبيعة علاقة «الذات» بالوجود، إحساساً بإسقاطاته، وشعوراً بما يترك من آثار في النفس والروح ..

– والتاريخ: أحداثاً ووقائع وقعت، يمثّل الشاعر فيها / ومن خلالها «زمنه الخاص» الذي هو، كما يراه ويريده: زمن تحوّل، وليس زمن ثبات.

– والإنسان: وجوداً بالإثنين معاً: حركة حياة وحريكة وجود، واتجاهات وتوجهات، يغني الرؤية فيها «فعل» هذا الإنسان – صانع التاريخ.
ونجد الشاعر يربط، وعلى نحو فريد، بين: وجود الإنسان وحركيّة الزمن، ومن خلالهما ينظر إلى التاريخ –الذي يصبح، هنا إطاراً ذات فسحة مزدوجة تستوعب «الوجود» و «الحركة» معاً، في بعدهما الإنساني المخلّق –ليغدوا التواشج بين الزمن والإنسان والتاريخ فسحة فعلية لحركية القصيدة، وهي حركية تجمع بين: المضمون، ومنهج الشاعر في الرؤية، والتوجه، والأسلوب.. (ويمكن أن نأخذ المثل من قصائد عديدة، وأخصها : «المجوسيّ»..)
وعلى هذا فهو إذ يستعيد الأسطورة، أو يستثمر، شعرياً، بعض خصائص البناء الرمزي فيها، إنما يستعيد بذلك تساؤلاته من خلال استعادة تساؤلات «أبطالها»، جاعلاً منها «قناعاً» –وبذلك يحقّق مستوى آخر من مستويات العلاقة بني الإنسان والوجود، لنجد، بفعل هذه «العلاقة المتحققة»، كلاً من «الفكرة» و«الرؤية» و «الموقف» تتراتب في «مسافة رؤوية» بين «عالم الأسطورة» و «العالم الموضوعي»:

« من ترى يسمع صيحات طيور البحر بعد الزوبعة؟
ويعاني وحشة النبذ وموت الروح تحت الأقنعة؟

ويغني للفصول الأربعة؟». (قصيدة: العرّاف الأعمى)

ومن هذا يمكن القول، استخلاصاً: إن فكرة البياتي الأساسية عن العالم قد تشكل من خلال:
– وجود الحياة، في ما تمثل / أو يتمثل فيها من حالات الاستلاب، للإنسان والفكرة الطيبة.
– ووجود الإنسان: الذي يغذي الحياة برؤياه –وهي، في الحالات الغالبة، رؤيا عابرة للواقعي إلى ما هو في إطار الحلم (أو الكابوس).
وقد استند الشاعر، في جزء غير يسير من هذا إلى ما يمكن أن نجد فيه «معارضة مبدئية» يمايز فيها تمايز مواجهة بين الإنسان (بأناه العليا) والعالم، راسماً طريق المغامرة لهذا الإنسان.. باحثاً في الواقع عما اكتشفه (أو تجلى له) في الأسطورة:

« من ترى: ذاق – فجاعت روحه– حلو النبيذ
وروابي القارة الخضراء والمطاط والعاج وطعم الزنجيل
وعبير الورد في نار الأصيل
ورأى الله بعينيه ولم يملك على الرؤيا دليل
فأنا في النوم واليقظة من هذا وذاك
ذقت، لما هبطت عشتار في الأرض ملاك». (قصائد حب إلى عشتار)

وهو في هذا، إنما يضع قصيدته (رؤيته / رؤياه) بين أفعال الروح ومطالبها –موضع مشاركة. ومن هنا فهو إذ يطرح السؤال / الأسئلة إنما يبحث عن الجواب في «ذاته» أكثر من بحثه عنه في الواقع. فهي أسئلة إدراك، ومعرفة، وتصور. فهو الذي أدرك:

« .. ما أدركه الرائي وما خبأه المقدور
في النور والنار وصمت البحر والياقوت
والجوهر المكنون
ولم أكن أحرق روما أو أسلّي شعبها المقهور».

* الوجه والقناع

إن البياتي، شخصية إنسانية وشعرية –بالرغم من وضوحها وراهنية خطابها الشعري في ما يحمل من توجّه – شخصية تقف، في غالب المواقف والحالات، وراء «قناع»، لا لتتنكّر، وانما لتعمق الكشف. فالوجه والقناع عنده يمثلان حضورهما بما يحملان من علامات، كثيراً ما تجيء متوافقة –أي أن «العلامات» التي يحملها «الوجه» ويمثل حضوره بها / ومن خلالها حضوراً إنسانياً، تقف في المستوى ذاته للعلامات التي تكون «للقناع»، والتي يمثّل بها «دلالاته الرمزية».. ونجد الشاعر، في هذا «التوجه

الإنشائي»، يعمد إلى ما يدعوه «الجرجاني» بتحقيق التوافق بين «صورة المعنى» -التي يقابلها، هنا، «القناع» و«المعنى» - المتمثّل في «الوجه».
ومع أن قصيدة البياتي لا تخفي طبيعة الأرض التي تنشق عنها -وهي تصرح بذلك أكثر مما تلمّح- فإن هذا «التصريح» غالباً ما تختص به «بداية القصيدة» وهي تقدم «تصوّره للأشياء -حيث يراها رؤية العين، أو رؤيا الخيال والتخيل».
وقصيدة البياتي، التي اعتمدت أكثر ما اعتمدت في دواوينه السابقة على هذا الديوان، استحضار «الشخصية - القناع»، نجدها في «الكتابة على الطين» تضيف إلى ذلك بعداً آخر: أسطورياً. ولكنه ، في الحالتين:
- لا يرد الشخصية إلى حالها (أصلاً)، بل يتمثل الحاضر، في راهنية معطياته، من خلال ما يجد فيها من دلالات ومعطيات رمزية..
- كما أنه لا يرد الأسطورة إلى أصولها الميثولوجية، وإنما يعمل من خلال ما للرمز فيها من دلالات، فيغني بها رؤياه.
وهو، في الحالتين، يعتمد على «المعنى المتحقق» له شعرياً - وهنا يتحقق الانزياح في أجلى مظاهره: ففي الوقت الذي تؤكد فيه قصيدته القائمة على هذا التمثل لكل من «الشخصية القناع» و«الأسطورة» «الرمز»، وضوح «مرجعها»، نجد انزياحها يتم من خلال ما يتقدم من أصوات الأعماق (أو تداعيات الذات)، فيمارس الشاعر ذلك باقتدار وحرية. وحتى لو بقي التضافر دافعاً ومتحققاً، في القصيدة، وبين ما هو «مرجعي» أصلاً، وما هو من «أصوات الذات»، فإن «الذات» تمثل وتقوّي حضورها بما تستعيره من «إشارات المرجع» -التي تصبح، في هذه الحالة، صورة من صور «المصير الشخصي» -كما قد يجري، في بعض المواقف والحالات، تعديل العلائق الدالة داخل هذه المركبة (الذات - الأسطورة - القناع) لتنمو القصيدة من خلال غنى الدلالات.(8) ولكنها تبقى، بأية صيغة جاءت وأي شكل أخذت، «قصيدة معنى»، وهو «معنى» غالباً ما يكون «واقعياً» -حتى وإن اعتمد الرمز والرمز والأسطوري، أو اتخذ القناع .. فهي ضرب من ضروب جدلية الخفاء والتجلي عنده.. وهي، في مستوى الموقف الشعري/ الوجودي للشاعر، لا تنغلق، بل تنفتح، ولا تعلّق الأسئلة وإنما تحمل الأجوبة. وبهذا فإن الشاعر في اعتماده الرموز الأسطورية والأقنعة لا يعتمد «المعنى المتضمن» فيها أصلاً -والذي هو معنى منجز سلفاً- وإنما يدفع إليها بـ«معناه» هو -المعنى الذي تشكّله نظرته، والمحتكم إلى موقفه، والممثل لعلاقته بالوجود -وهي جميعاً لا تتضمن/ أو تحمل التجانس مع العالم - بل غالباً ما نجدها تمثل «لحظة انفصال: عنه وهو في معظم تمثيلاته «انفصال تعارض» في الرؤية والموقف والمسار.
وإذا كان «الرمز الأسطوري» عند البياتي يتمثّل، في أخصّ ما يتمثل به، في تلك التصورات المتعالية، فإن الشاعر أنما يلجأ إليها، هنا بقصد قهر الواقع المضاد لها. لذلك نجد لغته التي «يعبّر» بها عن ذلك، لغة وعي، وليست لغة تخييلية، معتمداً فيها ما يدعوه «كارل يونغ» بـ«النشاط الموجّه» متمثلاً في : تعاقب الصور وفقاً لديناميتها الشعرية الخاصة:

«مدن تولد في المنفى وأخرى تحت قاع البحر أو قاع لياليها تغور

وينام الناس في أسحارها دون قبور
كالعصافير على الحائط نور
وأنا أحملهم فوق جبيني من عصور لعصور». (هبوط أورفيوس إلى العالم السفلي)

يتصل بهذا (أو يصدر عنه) ما يمكن أن ندعوه –عند البياتي تحديداً– بـ«أحلام الإرادة»، بما يجعل الكلام فيها واضحاً، مرام ونهايات. وأما «جذور» صوره الشعرية فممتدة في ما للشاعر من تجارب محسوسة أو متمثلة واقعاً.. وهي تمتد في تشبيهات ومقارنات حية وحيوية في حالات، ومجدّدة – ولكنها قاطعة– في حالات أخرى:

«نبذتني طرق العشق وملّتني الدروب
وأنا أبحث في بابل عن خصلة شعر علّقتها
الريح في حائط بستان الغروب
عن نقوش وكتابات على الطين وآثار حريق
من هنا مرّت وفي هذي الطلول الدراسة
لاحقتني لعنات الآلهة
والذئاب الجائعة
وأنا أتلو على المعشوق سفر الجامعة». (قصائد حب عشتار)

.. فهو، في توجهه هذا، إنما يعمل على خلق عالم تقترب فيه الأشياء المعلومة (التي تحددها علاقة الإنسان (الشاعر) بالوجود) من الأشياء المجهولة (التي تمثلها الأساطير والرموز) لتتعانق علائقياً في نسيج رؤيا ممتدّة بين برزخين: برزخ النفس، وبرزخ الوجود– وبهذا يجيء «الرمز الأسطوري» عند البياتي تفسيراً للوجود من خلال العلاقة التي يقيمها، به / ومن خلاله، بين «وجود خفي» (مؤلف من الأحاسيس والمشاعر والرؤى) و(وجود مرئي) (متعيّن في صور من العلاقات بين «ذات الشاعر» والأشياء)، ليصل من ذلك إلى «تكويناته تصويرية» لعلها من أخص الخصائص التشكيلية في قصيدة البياتي –التي يمكن أن نعين فيها أنماط البناء الشعري وصور التطور في قصيدة البياتي، بوجه عام، وفي هذا الديوان بشكل خاص:

–فهناك أولاً: هذا الانتقال الشعري بين الضمائر: من «أنا» المتكلم إلى «الآخر» الغائب، راوياً ومروياً عنه..

–وهناك ثانياً: اعتماد أكثر من صوت في القصيدة الواحدة، وإن كان لا يتخذ صيغة الحوار بينهما، وإنما اعتمد «التقابل»: وأحياناً تنتظم في شكل من أشكال التوازي –مع استفادته، هنا، من شكل من أشكال التوازي – مع استفادته، هنا، من شكل «البناء المسرحي» وإن بصورته البسيطة.

– وهناك ثالثاً: هذا الانتقال «بالفكرة – الموقف»، و«الشخصية – القناع» من الواقع إلى المجاز –جاعلاً منهما رمزاً على شيء من «حركية المعنى» ودلالته .. كما يتمّ العكس عنده أيضاً، فيتحول «المجاز» و«الرمز» إلى «صورة واقعية»، أو إلى ما يعمل على تشكيله في إطار الواقع، وما هو واقعي.

– وهناك رابعاً: الحركة الزمانية – المكانية لقصيدته، تقابلها، في وجه آخر: حركة مكانية – زمانية – هما، في الحالتين، الإطار المتين للرؤية، أو الرؤيا، في قصيدته.

– وهناك خامساً: أسلوب التداعي، الذي يشمل اللغة كما يشمل الصور الشعرية، بما يحرك عناصر القصيدة ومكوناتها حركة تفاعل، في ما بينها / ومع العالم.

– وهناك سادساً: التصميم القصصي (أو الحكائي) لقصيدة البياتي، وهو ما يجعل منها قصيدة ذات مبنى سردي –وإن كان مبنى بسيطاً في معظم نماذجه– وهو ما يجعل عديد القصائد، ليس في هذا الديوان وحده وانما في دواوينه الأخرى أيضاً، قصائد ذات نبرة غنائية، دون ان تشكل هذه الغنائية عنصر ترهل في بناء القصيدة، ولا عامل تشتّت في الفكرة أو الرؤية / الرؤيا، ولا في أسلوب الأداء الشعري وصيغه .. وإنما هي غنائية بانضباط وتصميم.

– ويتصل بهذا –سابعاً– ارتباطه، شعرياً، بالأسطورة والرمز الأسطوري ... فهو ليس الارتباط التقليدي، وإنما نجده يحاول / ويعمل على إن يجعل للأسطورة والرمز والدور الذي يراه للفكر الإنساني في الواقع. ومن هنا اجتماع قصائد هذا الديوان تخصيصاً على صورتين، تتحدّد كل منهما بقوّتها الخاصة .. وهما:

– الصورة المنبعثة عن / والمتشكلة من عالم الأسطورة ذاتها ..

– والصورة التي يجمع عناصر من «تجربته الواقعية»، فيوحدها توحدي تكامل.

– وتجدر الإشارة هنا –ثامناً وأخيراً– إلى عنصر الخيال ودوره في قصيدة البياتي.. فهو من نوع الخيال الحركي المتصل بالمحسوس. فالشاعر هنا، يفكر ويرى (رؤية، ورؤيا) ويقول.. واجتماع هذه العناصر الثلاثة في قصيدة البياتي يمنحها إمكانية تشكيل نسقها الخاص المستمد، أساساً، من العلاقة بين الواقع والحلم – كذروة للحياة عنده.

---

* ناقد عراقي يقيم في بغداد.

الهوامش:

(1) أنظر: كمال خير بك: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر – المشرق للطباعة والنشر– بيروت 1982 – ص: 45،44 –وإن الملاحظات التي سجلها كمال خير بك على قصيدة البياتي في ديوانه «أباريق مهشمة» تكاد تكون تأكيداً لظاهرة ملازمة لقصيدة الشاعر، في جميع تحولاتها في قصائد مجموعاته التالية، وهي ما يلخصه في قوله: «إن قصيدة البياتي، على الرغم من أنها تبدو متجهة صوب

هدف نحدد في الغالب، وإن حركاتها ترى في اتجاه ما دعاه «بو» POE بـ «وحدة الانطباع وكلية الأثر»، فإن آليات تطورها البنائي تبدو ملتزمة بمبدأ التداعي الحرن «الجواب» الذي تفصل عناصره وفق نظام حكائي أو مشهدي متوتر ومتجاوب العناصر».أما لغته الشعرية، و «لا سيما في نطاق المفردات والعبارة والدلالة»، فهي تكشف، بطابعها المتمرد و«المنتهك» عن انجسام مع البناء الفوضوي لقصائده». (ص: 364-365)

(2) إدوارد كييرا: كتبوا على الطين – ترجمة: محمود حسين الأمين –بغداد 1962 – ص 29.

(3) إدوارد كييرا – المصدر السابق– ص 74.

(4) المصدر السابق – ص 263.

(5) المصدر نفسه – ص 265.

(6) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(7) إن الشاعر الحديث، بتوظيفه الأسطورة في بناء رؤياه الشعرية الجديدة، عمل على خلق وإشاعة روح التجانس بين الإنسان والأسطورة، وذلك في ما استمد منها من معان ورموز تدعم تصوراته. فقد وجد الأسطورة تحتشد بالأفكار والرؤى القريبة، والحاملة للتماثل مع ما يحمله الإنسان المعاصر من أفكار ورؤى عن الوجود، وللوجود، بما يساعده على تشكيل «بنية معناه» على نحو يكرس به/ ومن خلاله «زمنه الرؤوي» الجديد– نظير ما يدعو إلى قيامه واقعاً من زمن إنساني جديد.

(8) إن الأسطورة، أو القناع، هنا –أو كلاهما معا– غالباً ما يشكلان عناصر وصل بين «موقف الشاعر» وجودياً و «وعيه المتكون» بالأشياء، والمواقف، والحالات ... بما يجعل الحقيقة (أو ما يرى فيه صورة من صور هذه الحقيقة) تتصل اتصالاً مباشراً بحس الشاعر ووعيه..

وإذا كانت الأسطورة، هنا، تتصل بما هو واقعي (أو من الواقع) أكثر من اتصالها بسواه (رؤويا كان أم تخييليا) .. فإن الشخصية – القناع «تجعله يذهب في ما هو أقرب إلى «التحليل». فهناك بالنسبة «شخصيات» البياتي «عناصر معرفة» مطروحة مسبقاً، والشاعر، في تعامله معها، انما يتمثل/ يحقق إدراكه لقيمتها (الرمزية)، بما يعقد اللقاء بين هذه «العناصر» و«القيم، المعنوية، لتجمع الشاعر إلى «الشخصية» وتضمنها في «وحدة موضوعية» لمواجهة ما يمثل/ أو يتمثل فيه ما يتم الاعتراض عليه في هذا العالم.

يموت الأدباء العراقيون
وأهدابهم معلقة بأسوار الحصار

شاكر نوري*

«عندما نفتقر إلى المخيلة، لا يكون
للموت أية أهمية، أما حين نمتلكها
فالموت يكون فادحاً».
«سيلين»

إنهم ينطفؤون الواحد تلو الآخر.. أليس كذلك؟ يتساقطون كالنجوم التي تذوب في الأديم.. والأبدية: عادل الجبّار، وغانم الدباغ، ويوسف الحيدري، وعبد الجبّار عباس، ومحسن اطحيمش، ومحمد جنداري، وعلي الوردي، وقيس لفتة مراد، وإسماعيل عيسى.. هكذا في فترة وجيزة، مات أولئك الأدباء دون ضجة، ودون جنائز تشييع ضخمة، ماتوا بكل هدوء، وكأن المصير اختار لغالبيتهم أن يموتوا بأمراض القلب، ماتوا لأن العناية بهم كانت ضئيلة، لا دولة تبعثهم إلى العلاج في الخارج، ولا هم كانوا يجدون الدواء في الداخل.. وما يزال الحصول على بعض الأقراص والعقاقير عملية معقدة، لا تتم إلا في قبضات أياد قليلة لوحوش السوق السوداء. مات أولئك الأدباء في عزلة تامة.. أليست الكتابة هي العزلة ذاتها؟ لاً تحتفي بموتهم الفاجع سوى قصاصة حبر في صحيفة، أو رثاء صديق بعيد، معظمهم مات فقيراً، معدماً، لم يخلف لأبنائه سوى أكداس من ورق وكلمات لم تنشر، وهي الأخرى معرضة للضياع في أية لحظة – وحتى تشييع جنائز البعض منهم وقع على نفقة أصدقائهم– ولم يكن يعرف أولئك الأدباء، الذين رحلوا عن عالمنا معنى العطلة الصيفية، أو السفر خارج العراق في سنوات الحصار.. بل كانوا ينتقلون من مكتبة إلى أخرى، ومن مقهى إلى آخر، من أجل إنجاز بحث أو كتابة قصة أو قصيدة أو مقطع من رواية، كانت جلساتهم بسيطة، وآمالهم «محدودة» بل وزاهدة.. خيل إليّ في زياراتي لهم أنهم يعيشون الزهد حقاً، في الملبس أو المأكل أو المسكن، يمضون أوقات المتعة يحتسون كؤوس العرق المرة في «نادي اتحاد الأدباء» –وهذا المكان أغلق مؤخراً– أو يشربون «إستكانات» الشاي في «مقهى حسن عجمي»، أو

يتجولون في سوق الساري يوم الجمعة لشراء بعض الكتب النادرة أو الآتية من وراء أسوار الحصار.. أقول يشترون الكتب مجازاً طبعاً، والأجدر بي أن أقول يتفرّجون على الكتب، لأن سعر الكتاب الواحد يفوق أحياناً رواتبهم «4 آلاف أو 5 آلاف دينار عراقي»، لا أحد منهم يمتلك منزلاً ريفياً أو مزرعةً أو رصيداً في البنوك، وبعضهم لا يمتلك المنزل الذي يعيش فيه.. هكذا كان الراحلون يدورون في فلك الأسوار التي صنعتها المخيلة الأمريكية.. حتى كتبهم، وهي الثمار الذهبية لأعمارهم، كانت تُطبع -إذا توفر ذلك- ولا يراها أحد.. وإذا ما طبعت في الخارج، فتبقى عيونهم معلقة بالحدود، عسى أن يبعث لهم أحد الناشرين مائة دولار فقط -وهي تُعادل راتبهم لمدة أربعة أعوام أو خمسة-، أحد الشعراء الراحلين عبّر عن عزلته قائلاً: كم أرغب برؤية البحر، وهو الذي ناجاه في قصائده كل تلك الأعوام، أليست العزلة هي أن تُحرم من رؤية البحر؟.

لقد كتب معظم أولئك الأدباء عن الموت، بالمعنى التراجيدي، فالكاتب لا يكتب، في حقيقة الأمر، إلا عن موته الخاص وليس عن موت الآخرين.. كأنهم يتركون بذلك بصماتهم على الموت، ويتعجلون في الإفصاح عنه، لأن الإنسان القريب من الموت أو الواقف على عتبته، هو الأكثر صراحة وجرأة.. أكثرهم لم يكتب سيرته الذاتية، بل نجدها متناثرة هنا وهناك في كتبهم.. عندما يذهب الناس إلى حتفهم، فإنهم لا يخفون أي شيء، حتى لو كان هذا الشيء ذلك البئر المخيف الذي نطلق عليه عنوان القبر!. كلنا يعرف ما الذي كان يُعَجّل في موتهم.. تلك الأيادي التي خَرَّبت بلداً بأكمله، وأغلقت عليهم منافذ الإطلال على عالم أفضل، الأيادي الأمريكية التي لم تكن تتردد في الضغط على أزرار القنابل.. وكان يُعَجّل في موتهم أيضاً، ذلك الفكر الظلامي المتخلف الذي لا يختلف عن أجواء القبر، ولون النمل، والدود الأعمى الذي يُحوّل الأجساد الميتة إلى وجبة دسمة.. لكن ثمة عشبة خضراء سوف تنمو في ذلك القبو الرطب، لتشير باهتزاز الرياح، إلى ذلك الجسد الذي كان يوماً يرفض أن يكون جسداً فقط، بل يريد أن يفيض بروحه على العالم.. تلك هي الفكرة الجهنمية لعلاقة الجسد بالروح.. وذلك هو هَمُّ الأدباء الأزلي.. وفظاعة موت الأدباء تتجسد هنا في تكرار المأساة.. والنص الأدبي ما هو إلا مقطع في ذاكرة المأساة.. أليس الموت هو الخسران الوحيد للكاتب عندما يتوقف عن إبداع العناوين.. ويتوقف عن تناول فنجان القهوة ذات صباح؟ الراحلون توقفوا عن تذوق طعم القهوة، وطعم القواميس، والمعاني الغامضة للكلمات الوعرة، فقد توقف المحراث عن حرث الأرض العصبية -الكتابة- فدورة الموت قد أصابت بذرة الكاتب الذي اختار الغوص في مناجم اللغة وليس في مناجم الذهب.. فالأُدباء الراحلون ما كانوا يتحدثون إلا عن مناجم الكلمات.

يرحل الأدباء العراقيون دون أن تعبأ بهم الكلمات، حتى إن بعض الصحف لا تريد أن تنشر خبر موتهم، لأنّها، ببساطة، غير معنيّة بموت العراقيين أو حياتهم.. ولعل المفارقة المذهلة أن الصحف تملأ صفحاتها بأخبار مطولة عن مهربي العملة الصعبة في هذه الأيام، بينما لا يحتل صانعو الكلمات سوى زاوية سوداء، حروف ضئيلة كتبها من يفهم فداحة موت الأديب.. فزمن الشاعر أو الكاتب، هو الزمن الإضافي، الذي يمنحه من أجل الآخرين، لا يمكن أن يراه الآخرون.

أولئك الراحلون لم يتحدثوا يوماً عن منفى الذي يعيش خارج المنفى، واهمين بأنهم يعيشون في داخله..

ولا يترددون عن إلصاقه بأسمائهم.. وكما ينبهنا أبو حيان التوحيدي «وأغرب الغرباء من صار غريباً عن وطنه»، كل شيء أصبح غريباً، الكلمات، الموت.. إذ يحتدّ الموت العراقي ويصبح صاخباً وتراجيدياً عند أولئك الأدباء الذين كرّسوا حياتهم للكفاح ضد الموت.. عندما نفتقر إلى المخيلة، لا تكون للموت أية أهمية، أما حين نمتلكها، فالموت يكون فادحاً.. وكذلك موت الأدباء العراقيين.

---

* كاتب عراقي يقيم في باريس.

رسائل العيد
«أيها الطفل الكبير أنا ضجر»

ضياء سالم*

حميد قاسم(1):
لقد جاء العيد وهو مبتسم لكنْ لمن؟!، ربّما لغير الناطقين بالطفولة!! أو ربّما لمن لا تحرسهم الأمنيات..
لقد جاء العيد وهو يحمل تاجاً من البنفسج ليلبس على رأس من آمنوا أن العيد لهم.. أغادر سلم الطفولة وفي داخلي رغبة في الضحك مع التاريخ.. ربّما أجد محطّة أضع عليها كل التساؤلات، ولكن أين؟!
قد لا أجد أن الصباح يحمل لنا أعضاء مبعثرة أو أشياءً مبهرجة، الصباح إذن مبهرج ولكن؟! متى!! وأين؟!
ربما في رأسي الملغوم بالتساؤلات.
أحنّ إليك وإلى تلك الطفولة.. «قدّاسك» الذي أشاهده دائماً.. وحين أترك قدّاسك(2)، أنظر إلى النهر.. دجلة التي تحتضنها النوارس والتي نامت ليلتين دون سمك.. حتى الصيادون غادروا تلقّهم..
أمنيات العيد، هل جاء العيد؟! أنا أتساءل فقط..؟! لقد أطلقت الرصاص على الحلم ليلة البارحة، وعندما صحيت، لم أجد دماً في رأسي، لذا يجب أن أعاقرها اليوم.. وأمسح دموع دجلة التي غرقت بدموع الأطفال..
ربما سيجيء العيد في السنة القادمة

(ثاني أيام العيد/ لا أعرف التاريخ)

فاضل نعمة(3):
الشوارع لا تزال خاوية.. وجامع الحيدر خانة صامت إلاّ عند الأذان..
في الطريق إلى شارع المتنبي.. أو في الطريق إلى بائع الفلافل التي أصبحت وجبتي اليومية، أتذكرك

بشيء من الدهشة، أعرف أنك فنّان وعلى حدّ قول «نيتشه»: الفن الحقيقي أو الأدب الحقيقي يظهر حتى ولو بعد قرون، لقد حقّقتَ ما لم يحققه فنان من قبل.
لقد غادر كل الأصدقاء يا فاضل وبقيت وحدي أعدّ الشوارع وأتشاجر حتى مع نفسي.. من هذا البؤس الذي يلفّني.. قد لا أستطيع الكتابة ثانية..

(ثاني أيام العيد/ لا أعرف التاريخ)

عدنان الصائغ:
لقد وصلني كارت العيد متأخراً جداً.. وها أنا من بين زحمة الأشياء أطلق لك صوتي دون أن أقود الوقت إلى زنزانة الأبجدية.
منذ زمن وأنا أعاني من غربتي.. غربتي المركبة داخلياً وخارجياً.. لقد غادر الجميع.. غادروا يبحثون عن أمنيات ضالّة أو ضائعة لا فرق..
لقد خرجنا من زمن الخيانات إلى زمن الأماني الضالّة وفي داخلنا شيء مهم.. ربما إنسانيتنا العرجاء أو أحلامنا الهرمة.. لا فرق.. الوقت يشير الآن إلى اللازمن.. ونتذكر أن الزمن هو زمن وجع..
أكتب لك وفي داخلي غُصّة، حتى الكلمات تخرج دون أن أستدلَّ عليها.. فعذراً لسوء حالتي النفسية.. ولكنني الآن أمارس عادتي السيئة..
دائماً أتذكرك أنا وعريان السيد خلف..

(ثاني أيام العيد/ لا أعرف التاريخ)

كريم شعلان(4):
ها قد غادر رمضان وارتسمت على شفاه الأطفال بسمة العيد تكلّلها الأمنيات الضائعة أو الضالّة، لا فرق، كم هي الأمنيات الضائعة والزمن يسير دون توقف ولا زلت أهرول في مكاني كأن الكوكب الأرضي توقف حولها.
وكم مرّة وأنا أقرأ عالم «عوانسك« دون أن أغادر الغرف الأرضية التي تحملها رائحة تلك النسوة اللائي غادرن حمى أفراحهن دون أن أتوقف عن السير خارج زمنك على الورقة.. كم هي الأمنيات الضائعة وسط ضباب هذا العالم المليء بالتساؤلات.. أنا الخارج من ارتباك العناصر.. أحمل زنبقة من وجع يتطاير شذاها حول روحي التي بدأت تهرم.. هل أنا طفل هرم؟! دائماً أسأل نفسي.. وفي داخلي رغبة تبليل بـهذا الذي يرافقني دائماً وهو ظلي.. كم هي الأمنيات الضالة.. هل أنا آخر المتبقين في جعبة الوقت؟ ربما!!

كريم
صديقي الرائع، دائماً، أتذكرك وفي داخلي غُصّة على كل أيامنا.. لم أجدها أبداً من بين كومة الأصدقاء الذين سرحوا أفراحهم والى الأبد.

(ثاني أيام العيد/ لا أعرف التاريخ)

الصديق خالد مطلق(5):
من أزقة (القنبر علي) الخاوية العابقة بدخان المنازل وأبنائها الراكضين صوب السوق.. من هذا المكان الخارج عن المدينة المكتظ بالأمنيات الضالّة سوف يصلك صوتي وفي داخلي غُصّة وأنا أرى الأطفال يهرولون مثل الجند المخذولين إلى المراجيح كي يقبّلوا يد العيد دون أن يتعرفوا على بابا نوئيل الأعور.. أراهم يركضون صوب أحلامهم الخاوية وأتذكر طفولتنا التي رسمناها في المتاهة دون أن نشاهد (طير السعد) وهو يتوقّف على أكتافنا من دهشة العيد، أي من لا دهشة العيد، أكتب عن مسميّات عصرنا القمري!! لا طعم له ولا رائحة سوى خرير أيام سالفة وهي تخيط جراح طفولتنا التي هربها الفقر دون رجعة.. صدقني وأنا أشاهد هذا الشارع المسمّى شارع الرشيد وهو حزين يبتسم ابتسامة كأنها ابتسامته الأخيرة، وأنظر إلى الأفق الذي هو الآخر كما حملت الأنباء الجوية «غائم جزئي»، العيد إذن غائم جزئي مع سبق الإصرار والترصد للطفولة.
أيها الطفل الكبير أنا ضجر.

(ثاني أيام العيد/ لا أعرف التاريخ)

* قاص وروائي عراقي يقيم في بغداد.

(1) شاعر عراقي مقيم في الإمارات.
~~(2) نسبة إلى المجموعة الشعرية «قداس الطفولة الهرمة» لحميد قاسم.~~
(3) فنان عراقي.
(4) أديب عراقي.
(5) شاعر وروائي عراقي، شاب مقيم في الإمارات.

خسوف برهان الكتبي(1)

لطفية الدليمي*

استغرق مرور آخر صيف من أصياف القرن العشرين في بغداد نحو ستة أشهر .. لبث الصيف يتجول بيننا نحيلاً ويابساً وبلا قلب حتى ألفناه كأنه واحدٌ من جياع القحط، وكان يرش النهارات بوهج برتقالي يغبشُ المرئيات في رهج حرارته الرَاعشة، ويعشي في الظهيرة أبصارنا وهو يستدرج رياح الصحارى وسراباتها إلى وقت الزوال ..

وكان هذا الصيف الأخير المزمن ينوع عذاباتنا في الليل والنهار وما أن نغفل عن استحكاماتنا حتى يتسلل من تحت العتبات إلى الدم والعظام ويؤجِّج الخشب والمفاتيح في أبوابنا الموصدة على أحزاننا .

أقاوم الصيف بإسدال ستائر لها زرقة نبع، أقاومه فأغدق اخضرار البساتين البارد على الحشايا والوسائد في غرفة مكتبتي لأتوارى عن شواظ القيظ في كنايات ألوان وأعوام في بياض ثلجي ثم أكتب صيفيات ساخرة وأضحك من حبكة الفصول ..

أحداث أيامنا مكائد صيف وحروب نعارضها بمكائد سريّة اللغات ونتدبر بها تعطيل ركضة الموت إلى خطوتنا التالية والحصار يجفِّف أيامنا على مناطق الصبر الأليم بينما تختم الشمس بكسوفها الكلي قرن الدم والحروب بنجوم ظهيرة مستحيلة .

إنما، لما يطل خريف تشرين الأول الذهبي تفوز اشواقي بطقس نضر له رونق أيام الحب الأولى واضطرابها وإشعاعاتها الخاطفة فتنغمر الروح واللحظات بشعرية الجمال الذي تبثه الطبيعة في تجليات انتقال الفصول .. تستدرجنا عذوبة الصباح إلى نزق البوح بما حجبه الصيف في أرواحنا، وتتركنا ونحن طائعون إلى فتنة النهار وأزاهير الاسئلة تتفتح على فراغات غامضة .

بلابل الحديقة تشق نداوة الهواء بصدورها الكهرمانية وتتنادى في هياجها العشقي وتنغمر في غمائم عطر الياسمين مطلقة صداحها المفتون على نوافذي كأنها تقاسمني انسحاري بالخريف البهي الذي

أنتظره منذ جحيمات كثيرة .
أقوم إلى الحياة التي لفرط فتنتها تبكيني، أزيح حطام الصيف وحرائقه عن جسدي ثم أعيد ترتيب الزمان وأحلامي، أعيد تنظيم احزاني في زواياها الأليفة، وأعلن أوراق الكتابة للعراء ..
انتزع أوراق التقويم التي نسيتها فصمغّها الغبار على صيف الكسوف، أنظم الحاضر وأمسيات الكتابة وأدس المباهج القليلة تحت جلدي مخافة أن تذوب في الهواء .
أنظّم فوضاي الملونة بعد ارتباكات الصيف التي حلّت بالنفس والمشاريع والأمل ...
ينضج الفجر وحفيف أشجار الموز في الريح الصباحية أزاهير اللغة، فأجد فيوضاً منها على وسادتي، أقطف من اللغة بنفسجات وقطرات دم وضحكات ودموعا ووجوها وأرقام سنين وأشباح مفقودين غادروني، أقطف العالم فيتوهج ضوء الكلمات في أصابعي، تفززني الفكرة من رهبة الليل فأقوم إلى الصحو واللغة تسدّد خطاي مع رائحة النعاس إلى منضدة الكتابة، أفتح النافذة لتطير بقايا الليل إلى الطرقات، أكتب صفحات وصفحات يؤازرني الشاي على المضي قدماً في النص والنهار، تكتمل اليقظة بالنص، أقرأ ما دونته، أندهش وأضحك: مات الصيف .
أضحك، كل ما تبقى من الصيف هيآت الصحراء على ذراعي ووجهي، وهياج الريح: أسترجع الخريف من مؤامرة الصمت . أخرج إلى مكتب البريد القريب وأجد رسائل كثيرة بعضها أميزه من خط مرسله، البعض من طوابع البريد التي تبوح بأعياد وعصافير وثمار وفراشات .
أرجئ قراءة الرسائل وأستبقي واحدة بين يدي رسالة من (دليلة العرفاني) زوجة (برهان الكتبي) بطل قصتي الاخيرة (خسوف برهان الكتبي) ..
قبل أن أقرأ يداهمني رنين الهاتف:
– أرايت العدد الجديد من مجلة الأقلام؟
– لا .. هل صدرت المجلة؟
– نعم، لكني لم أجد فيها قصتك الجديدة ..
– أنا لا أدهش لشيء .. ممكن جداً .
– ما هو الممكن؟
– ما هو متوقع الحدوث كل لحظة ..
– ماذا تعنين؟
– القصة، ألسنا نتحدث عن القصة؟ .. ألم تقل لي إنها ما ظهرت على صفحات المجلة؟
– نعم .. لم تظهر ولكنك تضحكين .. لا أفهم ..
– النسيان، في أحيان قليلة أتجاهل البديهيات فأنسى ..
– تنسين أو تتجاهلين؟
– هل يختلف الأمران؟
– طبعاً ..
– أتجاهل فأنسى ..

– لماذا لم تظهر قصتك؟
– لم تظهر لتبقى !..

* * *

لاح وجه (برهان الكتبي) أمامي .. وجهٌ من فرط ذهوله يبدو مؤبداً في خدره وغموضه ..
حول الوجه العائم في كرامة النسيان هالات غبار تأتي كل لحظة من عالم خفي، وخطاه تتوارى في الهواء وكأنه محمول على موجة غير مرئية، وجهه متجه إلى مجهول الخطوة التالية، وصمته لا معنى له، ولا صوت يعلو من نحيبه الروحي، وجه برهان مباح لألفة وقحة مع الخواء، وجه رجل لا وجه له ..
هل رأيت الوجه وأراه حقا؟
أم أنني أتمادى في انشغالي بقصته فأستدعي الوجه وأبصره؟ ..
دليلة تهاتفني كل حزن وليل، فلماذا تكتب لي رسالة؟

قبل ثلاث ليال هاتفتني:
– عزيزتي، أنا شديدة الخوف .. أعني قمت بحماقات كثيرة بحثت عنه في مواقع وأمكنة لم أرها في سابق السنين .. تجولت في مساءات الحرِّ والريح في شوارع موحشة، تحرَّش بي رجال عابرون عندما كنت اقف في مدخل زقاق معتم وأنا أترصّد المارة وأحدِّق في الوجوه فأستدعي سوء الظن .. لم أعثر إلا على مخاوف جديدة ...
تصمت (دليلة) وأصمت، نتمادى في الصمت المتواطىء بيننا لا نريد أن نقر بضياعه الأبدي ولا أن نغذي التوقعات الرهيبة التي تطلقها حدوسنا .. تتمادى دليلة في الندم، تعد نفسها شريكة فيما حدث بصمتها عما فعله بإرث أهله .. تروح في نشيج مرير، أهدئها وأصمت، يتوقف فعل الصوت وتنغلق الكلمات على دموعنا ..
كان برهان يقوم بجولات في شوارع بغداد، ملابسه مشبعة بالعرق ومن خطوته يهب ضجيج متقطع كالأنين الأرضي خطاه تترنح، لا ينظر إلى أحد، والخطى في عمى الذهول تؤكد النسيان . يلاحقه عابرون قساة .. يحيط به فتيان شرسون تمتد أيديهم بهدوء جليدي إلى جسده، يمسكون معصميه، ويركله أحدهم؛ يتهاوى فيوقفه آخر .. تمتد يد إلى جيبه وتخطف رزمة نقود ..
عدّه المشردون منافسا لهم في مناطق نفوذهم فلاحقوه، لم يكن عدوا مؤكدا فيقضون عليه ولا شبيها بهم فيقبلونه بينهم، لذلك سلبوه بعض ما تبقى لديه من مال بعد بيعه كنوز مكتبه وفقدانه آخر التماعات الذاكرة، فراغات ذاكرته تدفعه لفراغات المدينة والذاكرة سكون مريع ودمه بارد يتجمد في الأطراف، ودبيب خافت ومريب لعله دبيب الموت، يسري في العروق ..
لم يفكر (برهان) بالموت، فقد محّت الحدود بين الحياة والموت في سعة النسيان . كانوا قد ضربوه قبل

أن يسلبوا نقوده .. يشم الآن رائحة دم متيبس تفيض في الهواء ..
ضربوه فلم يقاوم إلا برهة ثم تركوه ملقى على الأرض .. قالوا له إنه واحد منهم لذلك ضربوه وسلبوه المال لو كان من الآخرين لما جرؤوا على فعلتهم ..
لم يقل شيئاً، وقفوا يحدّقون بوجهه المدمى وهو يثبت بصره في السماء، السماء التي لا ترى في دخان المدينة المسائي .. الدم المتيبس على صدغه وحول فمه به رائحة طين ودخان، فرك الدم بأصابعه، لم يبق من الخثارة إلا أثر قليل ..
تلك اللحظة أدرك وحدته، ما من أحد يناوله جرعة ماء أو يمسح آثار الدم المتيبس عن وجهه ..
(برهان) يشم الرائحة القوية، رائحة الألم الشرسة علامتها الدم وهو يواصل المكوث في الفراغ ..
الزمن في دورة سائلة يتدفق من آخر النهار إلى غسق الليل المخيف، والطرقات تفيض بأحداث صغيرة لا معنى لها وبرهان لا يكترث بما يرى، ولا يدرك غير ضربات الألم في خاصرته والنسيان يجنبه طغيان هذا الألم .. فعندما يعرف المرء سبب الألم ومساراته وتاريخه تزداد وطأته على الجسد، لكنه عندما ينسى، يعزل الألم عن منابعه ويجعله شيئاً هلاميا عاجزا، يفقد سلطته بفقدان ما يعزز حضوره ..
هو يدخل غيبة الليل ويتلاشى في آخر الأزقة شبحا من أشباح الظلمات لا تترك وراءها أثرا يقتفيه احد ولا تحتفظ من وجودها بغير رائحة تتوارى في أعماق الجسد .
لم يقاوم (برهان) وقت المجاعة، فاستسلم لما ترسمه الحاجة من غوايات الإمحاء، لم يكن قادراً على تحدي الغواية وشاء أن يبادل البقاء بذاكرة ميتة .. يقلب الصحف أمام احدى المكتبات، في (الباب المعظم) يقرأ العناوين ويحاول إيجاد علاقة بين ما هو فيه وقصف الطائرات الامريكية لمدن البلاد .
يعرف، ربما كان يعرف، أن الطائرات موكلة بالرزايا والدم شهوتها في غسق الحضارة .. ربما كان يعرف ذلك وهو يسير ملفعا بدخان الحافلات الهرمة، هل كان يعرف؟
ثيابه لها ذاكرة من روائح، برهان يحمل المدينة في روائح دخان بترولي يتسلل إلى نسيج قميصه ويبقى فيه .
لم يصادفه أحد من معارفه، والذين بحثوا عنه عادوا يائسين ودليلة تعاود التجوال في مدينة تبدو لها شديدة الغرابة عن مدينة مخزونة في تراكمات مباهجها وأحزانها، مدينة أحبتها في لذة المطر وأشواق الحب وألفة الليالي الجافة والموسيقى الرخية تتسلل من خصائص النوافذ أو أصوات البنات الراعشة ..
تكتشف في المدينة مدينة أخرى مرسومة بمذاق مرارة وخثارات صرخات آفلة، ترى المباني واقفة خارج نظام الدنيا تفوح منها رائحة الآجرّ المندى، الشيء الوحيد الأليف الذي يستدرج دموعها إلى الإفصاح عن حبها المهووس لهذه المدينة . الجدران رجمت بألوان الفناء، النوافذ أوصدت على غيابات ولوعات فراق، الحافلات تآكلت ولبثت تدير المسافات مرسومة بسحب من دخان زئبقي، تسير في لوعة الفقدان: المدينة (وبرهان) تلاشيا في الزمن ولبثت هي تطارد شبحيهما في ذاكرتها .

يسير (برهان) في الأزقة الناعسة التي تفوح بنتن الرطوبة أبواب البيوت البغدادية العتيقة لها مطارق

من حلقات نحاس ورؤوس أسود تدق لمواعيد زائلة ونجوم وأهلّة برونز تتشبث بخشب مصبوغ وتثير وهجات ضوء نحيلة من معدنها المهجور ..
بعض الأبواب مواربة والستائر من قماش رخيص تتطاير في الهواء وترفرف حافاتها المزينة بمخرمات جميلة فتطش معها أسرار البيوت ورائحة الرز العنبري والمخللات والسمك المقلي، والروائح لها أفواه ماصة، تلتهم الأعضاء وتسحق الجسد بسطوتها، والفم يتلظى بمذاقات أليفة يتشهى نيلها، يحس ببعض أمان في هجمة الرائحة ويستعيد التباس طفولة مهدورة، تطوي الروائح حاضر (برهان) الغامض وتقذفه إلى الصبا المنسي المشوش، تتراءى له أضواء شموس وطيارات ورق وفرارات وألعاب (غميضة) على مفارق الأزقة .
يصله صوت امرأة، صوت رجل، أصوات نساء في شجارات تهيل البذاءة على النهار وتختلط بأغاني صخابة، في ذهول انشغاله بالأصوات تغوص قدماه في الوحل الأسود الذي يتجمع وسط الزقاق في مجرى إسمنتي عميق .
أيام ضياعه لها ملمس رمل خشن، لها وجوه أشباح وأناس مهدورين، ولا شيء يعنيه فيما يسمع أو يرى، الروائح وحدها تكتسحه وتحرك في جوارحه وفمه وأصابعه شهوات وحشية لأشياء مجهولة، ورائحة الشاي الثقيل تفوح من أباريق البورسلين المرممة بقيود معدنية فوق مواقد المقاهي الصغيرة المرتجلة ..
لا يفعل شيئاً طوال الوقت سوى احتساء الشاي فالجسد ينتشي بالسائل اللذيذ الذي يخلف في فمه حلاوة كثيفة وانقباضاً مرّاً ..
في لحظة ما يخترق سمعه صوت امرأة بنبرة أليفة يكادُ يقطفها من بين الضجيج الأعمى، قلبه له ألف أذن .. لم يمسها النسيان، ألف أذن تسمع النبرة العذبة المثيرة لصوتها فيختفي الجسد وتتحفزّ الأعصاب .. نبرة صوتها .. ماذا يعرف عن نبرة الصوت والنبرة غائبة لكنه يحسّها، النبرة اللينة، الشاحبة، العذبة .. نبرتها جسد آخر لها وبها حواس متفتحة من أشواق قرن طويل مدحور .. هل كان يفكر بكل هذا؟ .. هل فكّر أين يجدها .. ومن تكون؟ هل أرعشت النبرة ملامحه فأدركه شيء من استذكار الملذات؟
يتناسى الأمر كما يبدو من انغماسه التالي في الذهول ويحدق في وجوه العابرين ولا يعرف لماذا يضع هذا الشاب الطويل نظارة سوداء وقطعة قطن على إحدى عينيه، لا يدري إن الرجل باع عدسة عينه ليطعم طفلة وزوجة، ولا يعرف أن المرأة المتلفعة بعباءتها تنحني على ألم خاصرتها بعد أن باعت إحدى كليتيها لابنة رجل ثري بمليوني دينار لتطعم زوجاً مشلولاً وأبناء عراة ..
أبداً لا يدرك برهان ما يحدث لهؤلاء الذين يفكك القهر أعضاءهم الجميلة الكاملة ويحوّلها إلى أشلاء تباع سرّاً عند سماسرة المستشفيات الخاصة، لا يدري برهان ما يدور الآن في الشوارع الرحبة والبيوت .. لا شيء يحرّضه على القيام بأي شيء .. والتقدم إلى الأمام لا يختلف عنده عن التراجع فكلا الحركتين لا تؤديان إلاّ لمتاهات جديدة ..
يتشهّى أن يسمع شيئاً من أحد يعرفه، يتشهى أن تقال له كلمات يعرفها من صوت أليف لا يفزعه .. ماذا لو صادفه أحد من معارفه؟ .. ألا تحسم أية مواجهة مع وجه أليف زمن التيه وتأخذ بيده إلى وجود لا

يهدده العوم في النسيان؟
يتغاضى عن هواجسه ورغبات اللحظة العابرة، ويسير وسط المارة المسرعين إلى حيث يتجه الجميع إلى لحظة المصير القادمة وتعلو الحشود سحبٌ من ضجيج وضحكات ويتحول العالم إلى محض صوت ورائحة كثيفة تبثها الأجساد من الشعر والأفواه والعظام والغصص، يردد (خطيه) ..
لمن هذه الكلمات المبيدة الساحقة؟ .. أيرثي بها نفسه أم الآخرين؟ ..
(خطيه) حريته في النسيان تبيح له منح الرثاء المجاني للذين تكبلهم ذاكرات الرعب، ويتلمس في الملامح ظلال استمتاعهم الطاغي بالشفقة، يراهم ينسحقون أمام نظرته التي تسيل منها كلمة (خطيه) الغامضة التي لا يدري لم كان يردّدها بين آونة وأخرى ..
يرى في واجهة زجاج لأحد حوانيت بيع الساعات السويسرية الثمينة وجه رجل ملتح، يكاد يعرفه، وجهاً نحيلاً شاحباً به كدمات مزرقّة والنظرة مظلمة وبها ازدراء مريع .. يكاد ينطق بكلمة .. هذا الرجل أعرفه فمن يكون؟ داخ، ودومت في رأسه الأعاصير، أسند جسده إلى عمود الرخام البارد لدى باب المحل الأنيق .. ثم استعاد توازنه وبغتة أحس بظلمة الوحدة تفترس قلبه ..
يكاد النبض يذكّره بهذا الرجل الذي واجهه على صفحة الزجاج ... يعاود النظرة المتفحصة فيتكاثر وجهه في مربعات الزجاج المقطوعة بشرائح ذهبية يتكاثر وجهه ويفيض إلى الجهات مع تكتكة الساعات المنضدية ذوات الرقّاصات المذهبة والعلامات الغامضة والوميض المتلامع ..
في لحظة الذهول التالية يسير برهان في الشارع ولا يعرف قط أنه في شارع الرشيد، الذي كان ملاذ خطاه الواعية في أيام الجمع وهو يتجه إلى شارع المتنبي لشراء كتب جديدة أو لتبادلها مع مهووسين بالكتب من أمثاله، لا يدري أين تحطُّ به الخطى الهائمات ..
تجرفه في اللحظة التالية حشود نساء نادبات يحملن صور أطفال مكللة بأطواق زهور ورقية سقيمة الألوان وتتبعهن سيارات محملة بتوابيت عليها صور أخرى لأطفال بددتهم اللوكيميا وأهلكتهم مطحنة الجوع، ينظر إلى الصور فلا يتذكر ولا يدري ما يدور: عيون الصغار تثقب الصور بشعاعات سود تنطلق من محاجرها وسط الوجنات البارزة والجلد المغضّن ويقترب من إحدى السيارات ويحدّق بصورة طفلة صلعاء لها عينان من خرز أزرق وفم صغير مثل حبة توت .. لا يفقه سببا لبشاعة هذه الصورة المعلنة وسط النهار يسير منوما بإيقاع الهزج الذي تردده النساء، مع نشيجهن وهن يمسحن الدموع بأطراف فوطهن أو يكفكفن العبرات بأصابع يابسة، وسط النحيب العاتي انحدرت دموعه هو الآخر لسبب لا يدريه، وشعر بحرقة ملح الدموع على وجنته الناحلة، والأطفال المسافرون في التوابيت إلى الأبدية يشهرون أبهّة الفناء وفي عيونهم تعابير سعادة ونزق طفولة بترت في أول الصباح .
تتطاير العباءات السود، تلتصق ثياب الحداد بالأثداء الضامرة وهن يواصلن لطم صدورهن بالأكف ويصرخن بالويل لقتلة غامضين ..
برهان لا يسمع سوى وقع الخطى ونهنهة النشيج وهو يردد بعمى إدراكه كل كلمة تصرخ بها النادبات فكأنه صدى لصرخاتهن القاتمة التي تنغم موجات الحزن على امتداد الشاعر وتطلقها في سماء الظهيرة ..

يصل الموكب إلى ما تحت جسر الجمهورية ليبلغ مبتدأ شارع أبي نؤاس وبرهان لا يدري أين هو ولماذا تذهب به الحشود إلى هنا وأي مكان يرتجون بلوغه، بعد خطوات قليلة يتجمع الحشد الحزين كأنه موجة دوّامية ويتوقف امام بناية من ثلاثة طوابق لها نوافذ مستديرة ونوافذ مستطيلة مبنية بالآجرّ الأصفر ويعلوها علم أزرق تزينه خارطة بيضاء لعالم غارق يحاول غصنا الزيتون احتواء انفاسه الأخيرة ..

في تلك اللحظة وعلم الأمم الأزرق يتشرب رائحة طمي دجلة يتهاوى برهان في نوبة دوار ويسقط على الرصيف فترشُّ امرأة من النادبات بعض ماءٍ على وجهه من قدح أتى به صبي ناحل من بائع السمك على الجهة النهرية .

كان للقدح رائحة شبوط طازج .. شمّ برهان زفر السمك من الماء ففتح عينيه:

والنادبات الخبيرات بالموت وألوان الموتى يحدّقن بوجهه وعينيه المفتوحتين تقول إحداهن:

– الحمد لله .. لونه لون ميت، لكنه حي يرزق .. يقوم بسرعة ويفلت من دائرة النادبات اللاتي أحطن به مشرعات السوادَ والدموع وروائح العرق على دواره وغيبوبته ..

يمضي إلَى الزقاق الجانبي، يبلغ عند نهايته بائع شاي، يتوقف لديه، يعطيه الرجل دورق ماء ليغسل وجهه وآثار الدم المتيبسة، تفوح من أصابعه رائحة دم طازج، الدم موجود ومشهر كل لحظة .. يشرب الشاي، الشذا اللذيذ يمتزج برائحة الدم، أحمر الشاي بأحمر النسغ الإنساني ..

يحتسي الشاي بالتذاذ فاجع .. يحس بلذعة الجوع في معدته، تنقبض أحشاؤه لفرط الجوع ..

يشتري قطعة سميط ساخنة مرشوشة بالسمسم يتوقف ويقضمها متمهلاً وقد تحلب ريقه للذة مذاق حبات السمسم الشهية ..

يسألونه في كل وقت وكل ريبة

– من أنت؟

يسأل نفسه: حقا من أنا؟؟

يردد في كل خوف ومطاردة: من أنا؟

في أحد جيوب برهان ورقة مغلفة بالنايلون، وعلى إحدى زواياها صورة رجل له عينان نفاذتان وفم مزموم تحت شاربين مشذبين .. يحدق برهان بذلك الوجه الذي يستدرج ألمه وفضوله معا، يخيل إليه ان بينهما ألفة قديمة طواها الوقت ..

– من هو هذا الرجل الأنيق الذي يحمل صورته على زاوية قطعة ورق مقوى محشودة بالأرقام والاختام والتواقيع؟

في لحظة استنارة خاطفة يلتمع الإسم أمامه:

– برهان ..

– هل أنا هذا الشخص الذي يدعونه برهان؟

من بوسعه تأكيد ذلك لي؟ .. كيف أتثبت من الأمر؟ ..

هل أنا الاسم أم هذا الكيان الضائع المتجول في الشوارع؟ ..

يصطدم في ترنحّه برجل أعمى يراه في الشوارع التي يتجول فيها ويعرفه برائحة حريق ونعناع تفوح من ثيابه ونظارة سوداء تعلن العمى الآخر .. وخطى برهان في عمى الذاكرة تأخذه بعيداً عن الموت والحياة معاً، ولكن إلى أي الجهات يسدد القلب حياته؟ ..
يشتري علبة سيجار فقد خيل إليه كان مدخناً، فيحاول أن يؤسس لنفسه في النسيان عادات تثبته في الزمان، عادات عابرة لرجال عابرين يمضون في الفراغ ويتفرجون على الصبيان المشردينً يشمون الغراء بين تلال النفايات أو داخل الجحور، ويرون البنات ممن يبعن العلكة والبخور والأدعية مسحورات بنداء الغريزة الذكورية المنفلتة في الليل ليتحولن بلمسة ذكر مجهول في زوايا الخرائب وأكداس القمامة إلى حاويات لنفايات ذكور آخرين .
وبرهان الذي انضمّ إلى مشردي أواخر القرن يوغل في النسيان و الروح تتسرب من تحت أظفاره وأنفاسه إلى الهواء .. ما هي الروح؟ .. هو لا يدري ما تعنيه الآن له .. فهو جسد مشرد مهجور .. ما هي الروح؟ ..
هل هي الثياب والكتب والعادات؟ هل هي الأحلام والصبر والذاكرة والمذاقات والعطور والأشواق؟ أم أنها الألم والغناء والموسيقى والأفكار؟ .. هل الروح هي في الحب ولمسة امرأة محبة ومحبوبة؟ هل هي رائحة البيت وشذا المفارش النظيفة والخبز الساخن ورؤية الأشجار والزهور من النافذة المطلّة على المرج؟
هل الروح هي السماء والكون والنجوم والعلاقة السرية بين القلب والسماء؟ .. هل هي الدموع ومباهج الجسد والنوم الهانىء والصحو على أغاني فيروز أو رنّة جرس الباب؟..
.. هل كل هذه الأشياء هي التي تصنع ما يسمونه الروح التي هي الجانب المتحرك من الذاكرة؟ ..
وبرهان فقد الاثنتين ولبث جسدا مسكونا بذاكرة الوحش الأول بعد أن تلاشى فيه ظلُّ الحضارة التي تشكلها تلك الأشياء الجميلة المفقودة ..
والمرأة التي تبيع السجائر في ركن الشارع المضاء تقدم له علبة (فايسروي) وتطلق عليه رائحة نفاذة تهيج وحشه الباقي وهو في خبل الجسد وغياب الإدراك ما عاد يذكر ذلك الإنسان الجميل الذي اسمه برهان والذي عرف رقة الحب وفتنة العناق في اكتمال الجسد والروح بجسد وروح أخرى يحبها وتحبه، لا يدرك الآن ما مضى من إنسانيته المبادرة ولا يدري ما هو الحد بين حشمة الحب المتسامية وبين عهر الشهوة الضريرة لذكر مجرد من الروح ولا ذاكرة له .. فتفوح الرغبة من احشائه إلى يديه وفمه والمرأة برائحة الدخان والعطر الرخيص تبيع السجائر على الرصيف واللّذة وراء حاوية نفايات فاغرة في إحدى زوايا الخربة في الزقاق ويدها تسحب برهان إلى حظيرتها: وحشان مسعوران في حماة الغريزة الأولى والأخيرة يوقّعُ الاثنان صكّ الانتساب للقطعان المهدورة في حيوانيتها الراسخة .
لا شيء بينهما اللحظة سوى ما تؤدي الكلاب السائبة أو الخنازير البرية أو القطط المهتاجة في شباط وهي تتسافد في الطرقات وبين أكوام الروث والوحل ..

هل ينسى الجسد انسانيته بهذه العجالة عندما يخلى الرأس من صور الذاكرة ومكونات الروح؟
هل تنسى اليد هكذا ملمس الجسد الأليف في حميمية الغرف ورائحة الحب الساطعة توصد العالم على متع تستقطر الجمال من الأرض والسماء فيتراءى على الوجهين والأرائك والصور ويذوب الجمال في الموسيقى والسكون الغامر الذي يرسخ المحبة في أعماق الوقت؟
القلب هذه العضلة الغريبة المدهشة تعصى – في رجّة ألم خاطفة – ما يبذله الجسد المهان على الطرقات، هل ما زال فيها شيء من صنيع الروح؟
هو لا يدري فالوحش المنفلت في المدينة لا ذاكرة له إلا ذاكرة اللحم والفرائس ولا غد يرتجيه فهو يغتال حاضر الوقت ويلتهمه بين أبخرة القمامة وعفن البقايا والعظام ..
يتحول برهان في لحظته الغريزية إلى ظلمة راعشة، يصير شهقة أليمة فظة، يجتمع وجوده اللحظي قوة ضاربة في الأظفار التي تنغرز والأنياب التي تنهش الجسد المباع لبرهة، شهقة الذكر تسيح على الجسد الممدد فوق قطع الكارتون سابحا في عرقه ونتن القمامة ... يقوم برهان من ضجعته ولا ينظر إلى المرأة الملقاه في تبذلها المريع .. تنزلق قدمه فيتلوث حذاؤه وطرف سرواله بالبراز، يهرع بعيدا عنها ويحاول إزالة ما علق بحذائه .. تبقى الرائحة، وصمة الحضيض على برهة الوحش، المدينة حرباء تتلبس هيآت رجال ونساء، فتظهر له مرة في هيئة رجل أعمى، أو في قناع صديق قديم كان يشاطره أيام التفتح في أحضان البغايا، يدعوه لاحتساء بيرة أو زيارة بيت يقدم البنات الصغيرات العابقات برائحة الطباشير والياسمين للزائرين ..
ثم تبرز له بهيئة امرأة فاتنة تفوح بعطور المخادع الأنيقة، أو تبدو بهيئة امرأة أخرى ترسل رائحة عفن المقابر، ثم تلاحقه في اليوم التالي بوجه امرأة مظلمة محشورة بالحكم والأكاذيب المغوية والأمثال والقصائد العتيقة، وتبثُّ إليه ما رددته على مسامع رجال لاحقتهم بظلمتها، وفي كل مرة ترسم مربعاً وتضع الرجل المغوى في الضلع المفقود لتكتمل لعبتها الهندسية .
تنبري له اخرى تبثّه شكاوى فؤادها وتندس كلماتها في فجوات فضوله الذكوري ويستبقي منها آهة وضحكة ومكيدة، تلاحقه أخرى نبذها أحدهم في أشهر حمل لم تفتضح وتطوي أيامه في غراميات توزعها بينه وبين آخرين تستدرجهم إلى شرك جمالها النضر وبرهان مزهو بنسياناته ونساء ضلاله المعلن .. مزهر بأنه يجد في كل منعطف أنثى مباحة لضياعه دون أن يدرك تحوله المريع إلى بؤرةَ متنقلة تستطقب البقايا والمنبوذات من الإَناث والأشياء ..
يواجهه الرجل الأعمى وهو يردد:
– الحية في زهرة الجوري، الحيلة في ضحكة رجل، السم في نعومة امرأة، حاذروا الكلمات فهي مصيدة وبها سم فئران، من يشتري سمّا يقتل الفئران؟
صوت الأعمى وجه المدينة التي يلتهمها برهان وتلتهمه كل ليلة فتتجشأ خرابه ويتجشأها نساءً مظلمات يتساقطن معه على البراز اليابس ..
يفارقه الأعمى حامل النذر، الأعمى المتكاثر في سحنات المدينة اللا تحصى .. يمضي برهان النهار كلّه في الأمكنة اللامسماة ويحدق في ملصقات دار السينما العتيقة لتنبئه وجوه الممثلين والراقصات بأنهم

يعرضون تاريخ الفضيحة البشرية بأقنعة قرود وجلود دببة وذيول ثعالب، هو لا يريد أن يتلقى أي معنى من المعاني، أي مقترح من الوجوه، أية ردة فعل مهما ضؤل شأنها ..
يحاول أن يصنع ردة فعله باستمالة الضحك إلى عبوسه، يحدّق بوجوه المهرجين المشهرة على الجدار ويضحك ثم يختصر الضحكة إلى شهقة نشيج ..
يمضي إلى الأزقة التي تنعم بالظلِّ الكثيف وسط قيظ الظهيرات، للبيوت شرفات مسيّجة بحديد زخرفي صدىء يلتف عليه لبلاب وحبال لنشر الغسيل، تتعالى في الأزقة روائح قنافذ مطبوخة وأمعاء عجول محشورة وأقدام أوز مسلوقة، لا يميّز بين هذه الروائح ذات الدسامة النتنة التي يتحاشى بها الجياع موتهم الوشيك المتواشج مع أنفاسهم، لا يدرك برهان فكرة الموت، وفيما يشبه الغيبوبة يتراءى له أنه ولد هكذا ليبقى ويمضي إلى ما بعد الموت محمولاً على محفّة النسيان ..
لماذا يموت؟ وما هو الموت؟ إنه يقف ها هنا على الحدّ الذي لا ينتمي للموت ولا للحياة .. الحدّ المرهف المحذوف من وعي الكائنات، فيبتدع بهذا البقاء نوعاً من الفناء الحيوي أو الحياة المتفانية، يحيا لحظة بعد أخرى مع كائنات لا تدرك أي معنى لمضيها الذاهل يجتاحه خاطر معذب:
هل كانت له حياة أخرى نظيفة ومصانة في سرِّ القلب؟ ..
هل كان ابنا متفانياً لأب جليل؟ .. أو كان زوجاً لامرأة جميلة؟ .. أو أباً لطفلة ساحرة؟ ..
ربما كان كل هذا فهو يتلقى خلال نومه إشارات تفسرُّ اختلاج الجسد في الحنين إلى دنيا مفقودة . والروح في النوم تحيي محبّات مقتولة وتأخذه إلى وجه امرأة يتفتح في أفق الحلم مثل زهرة الالآم .. امرأة لها شعر طويل بلون القهوة المحمّصة – كم يحب القهوة المحمصة – هل كانت تلك المرأة التي تراود احلامه تقدم له قهوة ساخنة في ليالي فردوسه الزائل؟ يهبّ مرتعباً من أحلامه .. لو كان يعرف، لو يستطيع استذكار اسمها، لو .. لكنه لا يدري، ولا يعرف، ولماذا لا تبحث عنه هي الأخرى؟ .. يغمض عينيه في الطرقات ليشكِّل ملامحها، يستبعد كل الملامح التي يراها في النهار ويحاول أن يبلغ سرّ روحه الضالة، يكاد يبلغ صورتها في مخيلته، لكنّ أنوار سيارة كاشفة تبهر عينيه وتمحو وجه المرأة المتشكِّل توّاً وتحرق الشعر الذي بلون القهوة، تختفي المرأة، تتلاشى المدينة، تذوب المباني، تهبُّ ريح جنوبية شرقية لافحة، لا شيء يتحداه فيقاومه ولا شيء يمشِّط الجسد بالصحو أو الكبرياء ..

---

*كاتبة عراقية تقيم في بغداد.

(1) الفصل الثاني من كتاب بنفس العنوان.

جنين

محمود شيت خطاب*

هذي قبورُ الخالدينَ، فقد قضوا ... شهداء؛ حتى ينقذوا الأوطانا
قد جالدوا الأعداء، حتى استشهدوا ... ماتوا بساحات الوغى شجعانا
ماتوا دفاعاً عن حياضٍ دُنّست ... بأحطّ خلق اللهِ في دنيانا
المخلصونَ تسربلوا بدمائِهم ... والخائنونَ تسنموا البنيانا
أجنينُ إنكِ قد شهدتِ جهادَنا ... وعلمتِ كيف تساقطت قتلانا
ورأيتِ معركة يفوزُ بنصرها ... جيشُ العراق؛ وتُهزَمُ «الهاجانا»
أجنينُ لا أنسى البطولة حيّة ... لبنيكِ؛ حتى أرتدي الأكفانا
إني لأشهدُ أنّ أهلكِ كافحوا ... غزوَ اليهودِ، وصارعوا العدوانا
فإذا بكيت؛ فلست أول صارم ... بهظته أعباءُ الجهادِ؛ فَلانا

أجنينُ يا بلدَ الكرام؛ تجلَّدِي ... ما ماتَ ثأرٌ ضرَّجتهُ دِمانا
لا تأمني غدرَ اليهود بُعيدَنا ... جُبلوا على لؤْم الطباع زمانا
المجدُ للبلد المناضِل صابراً ... حتى ولو ذاقَ الردى ألوانا

لا تـعـذلـوا جـيـشَ الـعـراق وأهـلـهُ   بـلـواكـمـو لـيـسـت سـوى بـلـوانـا
إن الـسـنـانَ يـكـونُ عـنـدَ مـكـبَّـل   بـالـقـيـدِ في رجـلـيـهِ، لـيـس سـنـانـا

مـرجُ ابـن عـامـرَ ضـرّجـتـهُ دمـاؤُنـا   أيـكـون مُـلْـكـاً لـلـيـهـودِ مـهـانـا؟!
المـسـجـدُ الأقـصـى يـنـادي أمـة   تـركـتـهُ أضـعـفُ مـا يـكـونُ مـكـانـا
إنـي لأعـلـمُ أنَّ ديـنَ مـحـمـد   لا يـرتـضـي لـلـمـسـلـمـينَ هـوانـا
إنَّ الخـلـودَ لمـنْ يمـوتُ مـجـاهـداً   لـيـس الخـلـودُ لمـن يـعـيـشُ جـبـانـا

---

* ضابط عراقي شارك في حرب 1948 في شمال الضفة. وهذه القصيدة ألقيت في حفل وداع الجيش العراقي العام 1948 عند انسحابه من فلسطين وكانت كتائب منه قدحررت مدينة جنين بعد سقوطها في يد العصابات الصهيونية.